الفصل الثالث:
العقيدة الإستراتيجية للمقاومة العراقية

obeikandl.com

obeikandl.com

1 - أهمية المقدمات السياسية في انبثاق الجيل الثاني للمقاومة العراقية

(إن المقدمات الصحيحة قد تؤدي إلى النجاح، لكن المقدمات الخاطئة تفضي حتماً إلى الفشل ....).

يستطيع أي باحث في تجارب الشعوب وهي تقاوم العدوان والاحتلال، أن يتلمس بعض المفاتيح ويشتق بعض القوانين والشروط والمعادلات التي أدت بهذه التجربة إلى النجاح أو بتلك التجربة إلى التعثر والانكفاء، بل إن بعض هذه التجارب رغم خصوصية سوءًا كل منها، قد شهدت في نفس النموذج تلكؤًا وإخفاقاً إلى حد إخمادها في مراحل مبكرة، ثم ما لبثت أن نهضت من تحت الرماد وانتصرت، بعد أن وضعت يدها على عناصر ضعفها، لتنتزع في خاتمة المطاف استقلال شعوبها المقهورة وحريتها، وكثيرة هي العوامل والشروط التي تتطلب مراجعتها في هذا الصدد، فطبيعة القيادة، والحاضنة الشعبية، والدعم الخارجي هي عناصر لابد منها و غاية في الأهمية وينبغي الوقوف عندها، لكننا سنركز على أهمية وحاكمية شرط، هو بمثابة مفتاح أساسي لاغنى عنه في أي نموذج مقاومة يراد أن يكتب لها النجاح، ذلك هو شرط توفر الفكرة والرؤية السياسية الواضحة، التي تمثل بوصلة المقاومة بكافة أشكالها في بحر الصراع ومتغيراته المتقلبة، وبدونها تصبح المقاومة بطولة ورومانسية ومضيعة للجهود والدماء.

تشير أدبيات المقاومة، إلى أن الموجة الأولى من تجربة الشعب الفييتنامي في المقاومة (1880– 1900)، كان نصيبها الإخفاق والفشل، بل وتم إخمادها كليًّا من قبل الاحتلال الفرنسي، ويعزو « هوشي منه» قائد مقاومة الشعب الفييتنامي لاحقاً، في معرض تحليله لأسباب هزيمة الشعب الفييتنامي في المرحلة الأولى، إلى أن هذه المقاومة قد تم قيادتها بأيديولوجيا تقليدية (كونفوشيوسية – فلاحية)، إضافة إلى عدم وجود قيادة

obeikandl.com

مركزية موحدة، شدة القمع الاستعماري، والدور السلبي للكاثوليك والأقليات الأخرى.

يضيف «هوشي منه» لقد كافحنا وضحينا بأنفسنا في سبيل الاستقلال الوطني والحرية، وإذا كنا فشلنا، فليس مرجع ذلك إلى قوة الاحتلال، وإنما فقط لأن الظروف لم تكن ناضجة، ولأن مواطنينا لم يعملوا في البلاد بأسرها بقلب واحد وعقل واحد .

لم يكن قادة المرحلة الأولى من مشايخ الكونفوشيوسية يفتقرون إلى الوطنية والدعم الشعبي أو إلى الإرادة، بل كانوا يفتقرون بصورة رئيسة إلى أفكار حديثة تتكيف مع العصر وتستجيب إلى متطلباته ، لقد ناضل هؤلاء القادة بعقلية الحنين إلى ماضي لن يعود، عقلية جعلتهم بلا آفاق مستقبلية .

في فييتنام عندما انهار المجتمع و رغم التضحيات الجسام في مواجهة الاحتلال، لم يتم التحسر على الماضي، بل تمت مواجهة الحقائق كما هي، وصياغة التساؤلات الكبرى كمقدمة لحل التناقضات، وكان ذلك يجري بالدرجة الأساس على مستوى النخب الواعية .

لقد حفزت الانتقالة الجديدة في نمط التفكير التقليدي الكونفوشيوسي إلى نمط التفكير المستقبلي والحديث، ومن موقف الإحباط الكامل واليأس العميق والعزوف نحو الاستسلام تارة والتصالح مع الاحتلال تارة أخرى، إلى بداية انطلاقة جديدة وخط شروع لإنجاز النصر الفييتنامي التاريخي، بعد أن تم حل معظم التناقضات والإجابة على جميع التساؤلات بكل وضوح ومصداقية ،لقد حدثت جراء ذلك في الحقيقة انتقالة نوعية في نفسية المقاتل الفييتنامي وفجرت طاقاته الكامنة، انتقالة قائمة على الثقة المطلقة في المستقبل وبحتمية الانتصار، كما اكتسبت الأجيال الجديدة زخم المبادرة والهجوم بدل الإحباط واليأس، ولكنها هذه المرة بصورة منظمة ووفق برنامج ومنهاج سياسي واضح الطريق والمعالم، لقد كانت الأسلحة الفكرية الحديثة هي المطلوبة في تحقيق هذه الانتقالة قبل الأسلحة المادية التقنية .

بخصوص تجربة المقاومة العراقية، من الواضح أن هذه المقاومة قد خاضت صراعاً عسكرياً ضارياً في المرحلة السابقة، ولكنها في نفس الوقت وبعد أكثر من ثمان

obeikandl.com

سنوات أصبح لزاماً عليها أن تخوض صراعاً سياسياً واجتماعيًا لا يقل ضراوة .

لقد أنجزت المقاومة العراقية بما لا يقبل الشك إنجازاً عسكرياً هائلاً ضد القوات الأمريكية المحتلة، إلا أن هذا الإنجاز ظل إنجازاً بساق واحدة، فقد وجدت فصائل هذه المقاومة وبعد انخفاض مستوى عملياتها العسكرية ، نفسها في حالة من الفراغ والحيرة، نتيجة عدم امتلاك إستراتيجية مستقبلية متكاملة لإدارة الصراع، يتيح لها عنصر المناورة في الإمكانيات السياسية والإعلامية لتعويض النقص الحاصل على المستوى العسكري، وزاد وعمق من هذه الغربة إن صح التعبير طبيعة هذه الفصائل وخلفياتها وجذورها العقائدية أو التاريخية المتباينة .

إن العلة الرئيسة التي رافقت تجربة عمل فصائل المقاومة العراقية في المرحلة الأولى، تكمن في كيفية توظيف قيم الإسلام السامية، والخزين النقي والفطري لها في ذاكرة العراقيين الذي كان له الفضل الأول في قدح زناد المقاومة بوجه الاحتلال الأمريكي، في وقت لم تكن فيه أي من الأحزاب العقائدية التقليدية مهيأة أو حتى لديها القدرة على ذلك، هذه القيم كانت طيلة المرحلة الأولى كفيلة بهزيمة الاحتلال الأمريكي عسكرياً، وكانت المعادلة السائدة طيلة سنين هذه المرحلة (الاستشهاد في سبيل الله = قتل العدو وكسر إرادته) ، ولكن هذه المعادلة عجزت فيما بعد ولا تزال عن القدرة في طرح بديل شامل وعصري حديث لملىء الفراغ أو إدارة متغيرات الصراع اللاحقة بصفحاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى القانونية، سواء في المناطق التي كانت تديرها هذه الفصائل أو خارجها فيما بعد .

من هنا نشأت في هذه المرحلة الحرجة علامات استفهام كبيرة يأتي في مقدمتها تساؤلاً مركزياً لا يمكن تجاهله ، ويشكل تحدياً ماثلاً أمام فصائل المقاومة العراقية، ماذا لو انطلقت موجة ثانية من المقاومة يقودها جيل يكتوي يومياً بنار المعاناة التي وصلت حدوداً لا تطاق ولا يمكن تحملها ، قد تنذر بأسوأ العواقب ،هل ستقاد بنفس القوانين السابقة ونفس المعادلات، التي افتقرت إلى معايير الإستراتيجية والتخطيط الشامل، أليست هناك تخوفات من احتمال تحول العراق حيثما خفت قبضة الاحتلال أو زالت كليًّا،

إلى تنور من العنف المنفلت، أو إلى ما يشبه إمارات الحرب، يصعب السيطرة عليها، ويسهل كما حصل في المرحلة الأولى اختراقها و توجيهها والتحكم فيها من هذا الطرف الدولي والإقليمي أو ذاك لتأخذ بعداً طائفياً وعنصرياً.

ورغم اختلاف التجربتين العراقية والفييتنامية وخصوصية كل منها، ولكن لم تكن قوانين وسياقات عمل المقاومة الفييتنامية والتي كانت أحد أهم أسرار انتصارها، لتسمح في أي حال من الأحوال بحمل السلاح، إلا لمن اجتاز تأهيلاً سياسياً يؤهله لمعرفة أهداف هذا العمل، وكانت لا تنفذ أي عمليات قتالية في مناطق ليست فيها للمقاومة قواعد سياسية مسبقة، وكانت هناك «مفارز سياسية» تجوب القرى والأرياف والسهول وتعيش وسط الفقراء والفلاحين تتفهم معاناتهم وتتنفس هوائهم ، تقنع الناس بعدالة قضيتهم، وتجيب عن تساؤلات المواطنين قبل أن تكبر، وتشرح لهم الدوافع والأهداف السياسية، وتعمل هذه المفارز السياسية على حل أية تناقضات قد تنشأ في عقول الجماهير.

في التجربة الفييتنامية تأصلت بحكم الخبرة الطويلة في مقارعة الاحتلال قاعدة ثابتة في العمل الميداني، تتمثل هذه القاعدة في تهيئة عمل سياسي دعائي نفسي محكم قبل المباشرة بأي فعل عسكري قد لا يحظى برضا الناس، كانوا يكسبون قلوب وتعاطف هذه الجماهير قبل أن يستولوا على عقولهم، فواجب هذه المفارز السياسية كان يتلخص برفع درجة الاتقاد سياسياً وبالتدريج وسط الجماهير لإيصاله في نهاية المطاف إلى العمل المسلح، ولم يكن القائد السياسي في أي منطقة أقل أهمية من القائد العسكري في نفس المنطقة، فأحدهما يكمل الآخر، ففي النهاية هذه الشعوب هي الغاية والوسيلة، وهي من يصنع التاريخ لأنها المعين الذي لا ينضب لضمان استمرار المقاومة .

في التجربة العراقية وهنا تكمن خصوصيتها، انبثقت المقاومة العراقية بصورة عسكرية صرفة، ولم يتهيأ لها أن تستكمل مقومات جناحها الثاني الذي كان ينبغي أن تطير به، ألا وهو الجناح السياسي، وقد شكل هذا النقص أحد أهم مقومات ضعفها على مستوى الإنجاز الإستراتيجي، حتى عندما وصلت المقاومة إلى ذروة أدائها العسكري الذي لم تصله أي تجربة مقاومة أخرى في العالم، خاصة في عامي (2006 – 2007)، حيث

كانت القوات الأمريكية المحتلة تتعرض باعترافها إلى أكثر من 1100 عملية يومياً.

لاشك أن المرحلة الحالية تمتاز بأنها مرحلة حرجة وانتقالية على مستوى تطور فكر وعمل المقاومة العراقية بل ومستقبلها، وتقع على عاتق النخب السياسية الوطنية بصورة أساسية مسؤولية تأمين عبوراً آمناً وسلساً إلى المرحلة القادمة وذلك من خلال بلورة وتشكيل وعي ومنهاج سياسي واضح يستجيب لمتطلبات الشعب العراقي ويستوعب جميع المتغيرات .

إن المشكلة الأساسية والمأساة لا تنحصر في حقبة الانحطاط التي يعيشها المجتمع العراقي في ظل الاحتلال الأمريكي فحسب، بل هي سابقة له، وستبقى مرافقة ومستمرة حتى بعد إزاحة هذا الاحتلال، ما لم نتمكن فعلاً من وضع يدنا على مواضع الجروح العميقة والغائرة في عقولنا قبل أجسادنا، وأن نضع منذ الآن الأسس الكفيلة ليس بتحرير الأرض وإنما تحرير أنفسنا والعقول من أوهام وتراكم العقد والتشوهات ، والانطلاق من خلال تقاليد عمل سياسي جديدة نحو صناعة المستقبل والثقة المطلقة به.

من جهتها، على النخب السياسية والفكرية الوطنية، أن تباشر دون إبطاء بأخذ زمام المبادرة بيدها وبعقولها ، لوضع لبنات منهاج وخطاب سياسي ملائم يتسم بالعقلانية والواقعية، وطرح رؤية مستقبلية واضحة المعالم والطريق، بالاستناد على أهم إنجازين تحققا في المرحلة الأولى من عمر المقاومة، وهما دحر القوات العسكرية الأمريكية، والإنجاز الثاني الكبير هو استعادة الشعب العراقي بكافة شرائحه لوعيه الوطني وإسقاطه لمشروع الفتنة الطائفية والعرقية .

وليس من المتوقع أن تلقى هذه الأفكار الجديدة والحديثة عند طرحها التأييد والقبول في بادئ الأمر، وعند ذلك على هذه النخب أن تتحلى بالصبر ولكن أيضاً بالإصرار والعناد والمثابرة على تشكيل وتكريس هذا الوعي الجديد، وطرح برنامجاً سياسياً جديداً للمقاومة ينسجم مع المرحلة القادمة من الصراع التي من الواضح أنها ستختلف فكراً وأهدافاً وطبيعة عن المرحلة الأولى .

obeikandl.com

لـن تكـون هذه المهمة يسيـرة كما يتصورهـا البعض، فعلى هـذه النخب أن تشق طريقها بصعوبة وسط ثلاث أنماط سلبية من التفكير سائدة اليوم في الساحة السياسية العراقيـة، النمط الأول هو أفكار القرون الوسطى الظلامية والمتخلفة وثقافاتها الفرعية التي باتت تتحكم على المستوى الاجتماعي والسياسي بمصائر ومقدرات ملايين العراقيين وتشـكل وعيهم التاريخـي، النمط الثانـي السلبي المتمثـل بنفايات الاحتـلال السياسية والأفـكار الغربية المستوردة وديمقراطيتـه الزائفة التي تشكل اليوم فلسفة نظام حكم ما بعد الاحتلال بكافـة هياكله وصفحاته السياسية ومنظومات قيمه، النمط الثالث والأخير الـذي ينبغي تجاوزه هو نمط الأفكار الرومانسيـة الحالمة والمغلفة إما بقوالب جامدة أو ضيقـة، لا تلبث أن تتكسر على صخور الواقع، ومن المفارقة أن هناك شبه تحالف ما بين النمطين الأول والثاني.

لا يمكـن لأي باحـث موضوعـي في الشـأن المقاوم إلا أن يقيـم العمل المسلح في تجربـة مقاومـة أي شعب ضد العـدوان والاحتلال، على أنه رأس الحربـة في تحرير هذا الشعـوب وسعيهـا لنيل استقلالهـا وسيادتها، فهو وحـده كفيل باستنزاف العـدو وإنهاكه وضمـان عدم استقراره وجعل بقاءه فترة طويلة أمـراً مستحيلاً، على أن يكون هذا العمل المسلـح مقيداً بإطار سياسي واضح، وأهداف سياسيـة معلومة، فجوهر القوة يكمن في أصل الفكرة والهدف التي تقف خلف السلاح وليس في السلاح نفسه، ففي نهاية المطاف لا قيمة للعمل العسكري إلا في حدود تأثيره السياسي والإعلامي والنفسي، فالعمل المسلح ليـس أكثر من وسيلة وليـس غاية بحد ذاته، وفي حالة بقائه وسيلـة وهدف في آنٍ واحد، عندئـذ سـوف يخرج من نطاق مفهـوم المقاومة، لأن هذه المقاومـة ستغدو بدون بوصلة سياسيـة، وقـد تخطأ أهدافها فتصيـب أصحابها وأصدقاءها وأبنـاء شعبها الذين حمل السـلاح باسمهم ولحمايتهم، وستكون أكثر عرضة للبيـع والشراء والمتاجرة من أطراف خارجيـة وداخليـة . ولنا أن نتصور تحقيق إنجاز عمل عسكـري لوحده دون أن ترافقه أية أهداف أو تصورات أو رؤى سياسية واضحة، فكيف سيكون شكل المستقبل ؟.

2 - لائحة الحقوق الثابتة والأساسية للشعب العراقي

وضعت هذه اللائحة من قبل عشرات المختصين من كفاءات عراقية وطنية مستقلة وهم سياسيين ودبلوماسيين وقادة عسكريين ورجال دين وأكاديميين وقضاة وتمخضت بنود هذه اللائحة بعد حوارات استمرت لمدة عام كامل، وتعد هذه اللائحة بمثابة عقد سياسي وطني أولي:

البند الأول :- العراق وطن العراقيين جميعاً، بدون أي تمييز على أساس الجنس والعرق والدين عليهم واجبات ولهم حقوق بمقتضى القانون .

البند الثاني:- العراق جزء لا يتجزأ من الأمة العربية والوطن العربي الكبير .

البند الثالث :- العراق وحدة إقليمية واحدة، أرضاً، وشعباً، غير قابلة للتجزئة بحدوده الدولية ووفقاً لتقسيمات محافظاته الإدارية النافذة قبل الاحتلال، ويحرم أي تشريع يمس بهذه الوحدة .

البند الرابع :- للشعب العراقي وقواه الوطنية أربعة أهداف مركزية :- 1 - الاستقلال السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والاجتماعي، 2 - وحدة العراق أرضاً وشعباً، 3 - الحفاظ على هوية العراق العربية والإسلامية، 4 – إقامة نظام وطني ديمقراطي، دستوري، تعددي، يؤمن بالحريات العامة وحقوق الإنسان ويتحقق فيه الحكم الذاتي الحقيقي لشعبنا الكردي في العراق.

البند الخامس :- مقاومة الاحتلال الأمريكي والنفوذ الأجنبي، بكافة أشكالها واجب وطني وهي حق مشروع ومكفول بموجب القانون الدولي يجسد إرادة وشرف واعتزاز جميع العراقيين .

البند السادس :- نبذ الإرهاب بأشكاله كافة، ويعد استهداف العراقيين الأبرياء جريمة تحت أي ذريعة أو وصف أو مسمى .

البند السابع :- تشريع قانون لتجريم المحاصصة الطائفية والعنصرية يعاقب بموجبه كل من يتبناها أو يروج لها .

obeikandl.com

البنـد الثامن :- الدستـور النافذ بعد الاحتـلال لا يفي بمتطلبـات الشعب العراقي الوطنيـة ولا يمثـل إرادته الحرة، لـذا ينبغي إعادة كتابته وفقاً لمصلحـة الشعب العراقي ومن منظور وطني .

البند التاسع :- تداول السلطة سلمياً وبانتخابات تشريعية نزيهة، ورفض كل أشكال الاستبداد والفردية والدكتاتورية .

البند العاشر :- اعتماد المواطنة والكفاءة والإخلاص للوطن معياراً لتكافؤ الفرص والمساواة في الحقوق، بدون تمييز على أساس الجنس والعرق والدين .

البنـد الحـادي العاشر :- الاحتـلال حالة مؤقتة فـي القانون الدولـي غير شرعية وغيـر قانونيـة ينبغي إبطال آثاره علـى جميع الصعد السياسيـة والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والقانونية.

البنـد الثاني عشر :- السعي من أجل إقامة دولـة مدنية متقدمة عادلة وقوية تنبثق عنهـا حكومة تنصرف واجباتهـا حصراً في تنظيم العلاقات بيـن الأفراد وتوظيف كافة سلطاتها لخدمة الشعب وصيانة حريته وأمنه وكرامته .

البند الثالث عشر :- القوات المسلحة بعقيدتها الوطنية حامية للوطن وصمام أمان وحدته الوطنية بعيداً عن المحاصصة الطائفية والعرقية والاصطفافات الحزبية .

البنـد الرابع عشر :- مطالبة الولايات المتحدة والأطراف التي شاركتها في احتلال العـراق بكافـة الوسائل السياسيـة و القانونية لدفـع تعويضات للعـراق والعراقيين مادياً ومعنوياً عما لحق بهم من جرائم وانتهاكات لحقوق الإنسان .

البند الخامس عشر :- العمل على توثيق أواصر العلاقة شعبياً ورسمياً على الصعيد العربـي والإسلامي والدولي على أساس الاحترام المتبادل والمصالـح المشتركة وعدم التدخل بالشؤون الداخلية، وبما يحقق مقاصد وأهداف هذه اللائحة .

البنـد السادس عشـر :- المصالحة الوطنيـة - تكريـم عوائل شهـداء المقاومة العراقية، إطلاق سراح جميع الأسرى والمعتقلين وتعويضهم عن الأذى المادي والمعنوي، وضمان عودة وتعويض جميع المهجرين والمهاجرين وإعادة حقوقهم المسلوبة.

البند السابع عشر :- ثروات العراق وفي مقدمتها النفط والغاز والمياه ثروة وطنية غير قابلة للتصرف والتجزئة .

obeikandi.com

3 - الإعلام والعناصر الثورية للمقاومة الإلكترونية

لـم يشهد عنصر من عناصـر القوة في حقل الصراعات الدوليـة تطوراً متسارعاً كما يحصل في ميدان الثورة المعلوماتية والاتصالات، وفي سياق هذا التطور كما هو شأن أسلحـة القتال قد يحقق التفوق التكنولوجي فيهـا أرجحية لطرف على الطرف الثاني في ميزان الصراع، فالإعلام الدقيق قد يفوق في خطره الميدان، ورب جيش ربح معركته في الميدان وخسرها في الإعلام، ورب جيش خسر معركته إعلامياً قبل أن يخوضها فعلاً في الميدان[1] .

وتتصف الوسائل المادية بأنها محدودة قليلة الحجم، ولكن المجال النفسي وكيفية التأثيـر في إرادة وإدراك الخصـم والصديق يشكل معيناً لا ينضـب من القوى قادر على تقديـم مصـادر معنوية ومادية هائلة ليس في وسـط الشعب الذي يخضـع للاحتلال بل يتعداهـا إلى الشعوب في عقر دار جيشـ الاحتلال، وهكذا يمكن تعويض الضعف المادي بالتأثير المعنوي وهذا أحد أهم مبادئ الإستراتيجية غير المباشرة .

يعـد الإعـلام والثـورة الاتصالاتية في هـذه المرحلة من تاريخ تطـور الصراعات سلاحـاً فتـاكاً إذا مـا أجيد استخدامه، فهـو يصب مباشرة من حيـث التأثير في جوهر

(1)) كان تأثير بث الصور الأولى لدخول الدبابات الأمريكية إلى ساحة الفردوس وسط بغداد وإسقاط تمثال الرئيس العراقي فـي يـوم 9 نيسـان 2003 بالغ الأثر، خاصة وأن دوائر التخطيـط الإعلامي والحرب النفسية قد اختـاروا هذا الموقع بعناية فائقـة لأن هذه الساحة تشرف عليها فنـادق رئيسة في بغداد حشرت فيها جميع وسائل الإعلام والمراسلين الحربيين (وعلى بعـد مئات الأمتار فقـط)ومصوري الفضائيات التي كانت تنقل هذه الصور مباشرة ولحظة بلحظة، ولم يكن أحد يعلم أو يعبأ بأن القتال كان يجري على أشده في مناطق عدة من بغداد وبقية مدن العراق وخاصة الجنوبية وكانت القوات الأمريكية تتكبد فيهـا خسائر كبيرة والتي لـم يتسن للإعلام أو لم يسمح له من نقل وقائع هذه المعارك، وكان التأثير الرئيس والنفسي للصور الأولى لهذه الدبابات وهي في مركز بغداد قد ترك أسوأ الأثر على معنويات الجيش العراقي والشعب في حين كانت محافظات جنوبيـة لا تـزال تقاتـل بضراوة ولم تسقط ولـم تتجرأ قوات الغزو الأمريكيـة حتى على دخولها، وكانت فيالـق عسكرية كاملة للجيش العراقي النظامي في شمال العراق لم تصطدم أصلاً بأية قوات أمريكية وتفككت دون أن تطلق رصاصة واحدة.

obeikandi.com

مبـدأ الصـراع القائم على أنه تنازع إرادات قبل أن يكون صراع معدات وأدوات، فالمجال النفسـي هو المجـال القائد الأساسي الـذي تتجابه فيه الإرادات، لذا مـن الضروري في هـذا النمط من المقاومة الإعلامية الاستناد إلى علـم النفس لغرض استثارة قوى مادية بفضـل هذه القوى المعنوية، و ينبغي الحصول علـى نتائج نفسية وهكذا بالتناوب، ونظراً لتيسر ورخص أدوات وأسلحة نمط المقاومة الإعلامية فإنه يعتبر أحد أشد الأسلحة فتكاً وتأثيـراً في العصر الحديث بالنسبة للأطراف الضعيفة لتجسير الفجوة في فرق التفوق المـادي والعسكري الذي يتميز به الخصم واستعادة التـوازن معه، وهذا تماماً ما ينطبق علـى معادلة صـراع المقاومة مع الاحتلال باعتبارها الطـرف الأضعف مقارنة بإمكانات الجيوش والدول، فعناصـر كالمسافات في مفهـوم المكان، والسرعة فـي مفهوم الزمن اكتسبت مضامين ثورية جديدة وأصبح التحكم فيها أمراً متيسراً لصالح المقاومة إذا ما خضع الإعلام والاتصال لمنهجية وإستراتيجية متكاملة .

باتـت المقاومـة الإعلاميـة لا تقل أهمية من حيـث تطور التخطيـط والتنفيذ عن الأنمـاط الأخرى من المقاومـة العسكرية والسياسيـة والمدنية بل وتتناغـم معها بحيث يمكـن التعويض والمناورة بهـا لتعويض النقص الحاصل في أحد هـذه الأنماط الذي قد يحصل لسبب أو آخر في مرحلة من مراحل الصراع الطويل .

تستنـد الإستراتيجية الإعلامية على قاعـدة فكرية متينة فإذا كانت هذه القاعدة الفكرية متخلفة وسيئة فلا قيمة عندئذ لأية إستراتيجية إعلامية، فمن الضروري امتلاك الإستراتيجيـة الإعلاميـة لفكرة سياسية ملائمـة كل التلاؤم مع مـزاج ورغبات السكان وتنسجم مع تطلعاتهم، ثم تترجم هذه الأفكار من خلال الوسائل إلى أنماط وصيغ مبسطة فالأعمـال المادية ضـد الاحتلال يجب أن تكون نوعية بحيث تحسـب مسبقاً وفق تأثيرها ومردودها النفسي لا وفق نتائجها المادية .

فـي السابق كانت مهمـة الدعاية وسط صفوف الخصم ونشـر الوعي والثقافة في وسـط الجماهيـر مهمـة عسيرة جداً، وعـادة ما يتحمل هـذا العبء شرائـح خاصة من المثقفين والمتعلمين الذين يجوبون المدن والقرى والأرياف كمندوبين للاتصال بالسكان

لإقناعهم بعدالة قضيتهم وإقناعهم بضرورة التضحية من أجلها .

في عصرنا الحالي حيث يوصف العالم بأنه قرية صغيرة أصبح بالإمكان الوصول عبر الكثير من وسائل الاتصالات المرئية والمقروءة والمسموعة السريعة إلى أماكن العمل وتجمعات السكان القاصية وغرف النوم والمقاهي والقرى النائية في آن واحد لإيصال المعلومة والفكرة المدعومة بصور لحظية لا تبقي للشك مجال فتعطي أثراً فعالاً وإدراكاً مباشراً وسريعاً وعميقاً، ومن تجليات ثورة الاتصالات في الاستفادة من تغيير محتوى الزمان والمكان القدرة على تمتين أواصر العلاقات بين قوى التحرر وعقد المؤتمرات -عن بعد - بصورة مرئية لإدارة الحوارات وإنضاج الرؤى اللازمة للقوى والتيارات والشخصيات وتبادل الآراء بغض النظر عن أماكن التواجد وتصل القدرات الثورية لثورة الاتصالات والمعلومات إلى حد تصميم ثورات كاملة للشباب عبر الفضاء الافتراضي وتحقيق تواصل تام بين مجاميع، ثم تحويل كل ذلك إلى الواقع المادي الحقيقي مصحوباً بزخم نفسي شديد تتوقف أمامه أية قدرات مادية أو عسكرية مضافاً إلى ذلك القدرة على التواصل مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية بل وعقد اتفاقيات ومذكرات تفاهم وتحالفات ما بين أكثر من وسيلة إعلامية لإدارة الصراع الإعلامي ضد إستراتيجية الاحتلال .

هذه القدرة التي تصل حد الخيال والسحر والتي تشكل فعلاً سلاحاً نفسياً فتاكاً لا يمكن إلا لشريحة متمرسة ومتخصصة تقنياً وسياسياً وإعلامياً الاستفادة منها وتوظيفها باتجاه خدمة المقاومة وأهدافها، لأنها في الحقيقة قدرة سريعة الحركة متجددة ولا يمكن اللحاق بها وقد تكون سلاحاً فتاكاً ولكن ذو حدين، وربما يؤدي تجاهلها وعدم الاهتمام بها إلى إعطاء تأثير معاكس في كسر معنويات وإرادة المقاتلين والشعب في آنٍ واحد وتقلص من مساحة المتعاونين والمتحمسين مع مشروع المقاومة.

تقوم الإستراتيجية الإعلامية الفعالة على ثلاثة ركائز أو حلقات مترابطة يكمل بعضها البعض :

أولاً - امتلاك فكرة سياسية واضحة تمثل إرادة الشعب وتنسجم مع تطلعاته

وتلتصق بحالة المعاناة والحرمان التي يعاني منها، ويجب انتقاء الفكرة والكلمة بعناية فائقة وتحويلها إلى مقاطع بسيطة وواضحة يمكن فهمها وكذلك اختيار التوقيت المناسب لتحقيق تأثير نفسي إيجابي يعزز من معنويات الصديق ويؤثر سلبياً على الخصم. فالحفاظ دائماً على الأمل بالتغيير يتم من خلال وجود قاعدة نفسية جيدة البناء يكون المستقبل المنشود من خلالها براقاً واضحاً وجذاباً يبرر العمل الدؤوب وتقديم التضحيات من أجله، والحقيقة أن امتلاك مثل هذه الفكرة لا يمكن أن يتحول إلى قوة كافية لغرض التأثير ما لم ترتبط عادة إما بواعز ديني أو عنصري أو حزبي، وبالتالي فإن خلق مثل هذه الفكرة الجذابة الجامعة على مستوى الواعز الوطني والتقدمي والتحرري كبوصلة للإستراتيجية الإعلامية والتي تشكل حجر الزاوية يعد تحدياً جدياً يحتاج إلى جهد سياسي ونفسي كبير قائم على دراسات وإحصاءات لقياس الرأي العام.

في المقابل تهدف الإستراتيجية الإعلامية إلى تثبيط معنويات الخصم من خلال حرمانه من أي أمل في النجاح وزرع الملل في صفوفه – إستراتيجية الإنهاك بالملل – والإصرار على أن تصميم المقاومة لا يتزعزع، وثقتها بالنصر أكيدة وحتمية ومحسومة، وأن الحسم لا يحتاج إلا إلى الوقت أما نتائجه فمضمونة، وعدم القبول بأية حلول وسطية مع الاحتلال بوصفه وضعاً شاذاً وطارئاً لا ينبغي الإقرار به وبواقعه وبآثاره المفروضة بقوة السلاح على إرادة الشعب.

تغطي تطورات ما بعد الاحتلال وتستجيب لتساؤلات المواطنين وتشكل قاعدة قيمية وطنية مناهضة في مقابل منظومة قيم الاحتلال السلبية التي يرغب في تكريسها وتجذيرها في المجتمع.

ثانياً – تشكيل فصائل إلكترونية : وهم شريحة من قادة الرأي ورموز المقاومة الإعلامية سواء كانوا من التقنيين أو المسؤولين عن التخطيط والتنفيذ، ويمثلون بكافة اختصاصاتهم الحلقة الأخطر في ركائز الإستراتيجية الإعلامية التي تربط ما بين حلقتي الفكرة والوسيلة، وتتوقف على مستوى قدرتهم نتائج الصراع الإعلامي ومعرفة مدى التأثير، فأحياناً قد تتاح الوسائل وهي فعلاً متيسرة وتتاح الفكرة الأساسية ولكن

تفتقـر الإستراتيجية الإعلامية إلى المضمون والعتاد اللازم لتحويل الأفكار إلى منصات تأثير واضحة لإطلاق هذه الأفكار، وقد تكون مقاومة ما منتجة جيدة على مستوى الميدان ولكنهـا مسوقة فاشلـة على مستـوى التأثير واستثمـار الفعل الميدانـي لديمومة حماسة المقاومـة والحفاظ على مستويـات عالية من التأثير النفسي والمعنـوي الذي يهدف إلى ضمان المطاولـة والنفس الطويل الذي يشكل أهم ميزة لدى المقاومة وجوهر وسر الفوز في الصراعات ذات الطبيعة الطويلة والإستراتيجية.

ويتحتـم اختيـار هؤلاء القادة بعنايـة فائقة وتطوير مهاراتهـم، فبإمكان شخص موهـوب منهـم أن يحقـق نتائـج باهرة علـى مستوى شـل الخصـم إلكترونيـاً واختراقه وتحطيمـه[1]، إن واحدة من أهم معالم نصـر أي مقاومة على الاحتلال كانت تتم عندما تنجح هذه المقاومة في نقل المعركة إلى داخل عقر دار الاحتلال والتأثير في الرأي العام الـذي يضغط بـدوره على إدارة الاحتلال، وهـذا ما نجحت فيه المقاومـة الفييتنامية مع

(1) موقـع ويكيليكس Wikileaks ،الاسـم جـاء من دمـج كلمة «ويكـي» والتي تعني الباص المتنقل مثل المكـوك من وإلى مـكان معيـن، وكلمـة «ليكس» وتعني بالإنجليزيـة «التسريبات». تم تأسيـس الموقع في يوليو 2007 من قبـل مجموعة صغيرة مـن الأفـراد وبدأ منذ ذلك الحيـن بالعمل على نشر المعلومات وخوض الصراعات والمعارك القضائيـة والسياسية من أجل حمايـة المبـادئ التي قام عليها، وأولهـا «صدقية وشفافية المعلومـات والوثائق التاريخية وحق الناس فـي خلق تاريخ جديد». وانطلق الموقع بداية من خلال حوار بين مجموعة من الناشطين على الإنترنت من أنحاء متفرقة من العالم مدفوعين بحرصهم على احترام وحماية حقوق الإنسان ومعاناته، بدءًا من قلة توفر الغذاء والرعاية الصحية والتعليم والقضايا الأساسية الأخرى. ومـن هـذا المنطلـق، رأى القائمـون على الموقـع أن أفضل طريقة لوقف هـذه الانتهاكات هـو كشفها وتسليـط الضوء عليها. أدى قيـام موقـع ويكليكس الإلكترونـي بنشر ما يقارب ثلاثة ملايين وثيقة سرية مسربة مـن وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون حـول حربي العـراق وأفغانستان، وتهديده من نشر ملايـين أخرى من هذه الوثائق إلى ما يشبـه الإعصار الذي أصاب وصعق الأنظمـة الرسميـة، فالوثائق بالغة السرية وعادة ما يكشـف عنها بعد عشرات السنين تم نشرها علـى شكل طوفان ليعزز من تبـدل طبيعـة توازن القوة بدلالة التأثير فبعـد أن كان الصراع يجري بين الدول حصراً لعدم قـدرة أي طرف من الارتقاء إلى مستـوى مواجهة هذه الدول فإن هذه الموازين قد تبدلت بفعـل القدرة التكنولوجية التي ضاعفت وأضعفت الكثير من عناصر القوة فأصبحت هناك ظاهرة ومعادلة جديدة لا تزال بعد في بداية تبلورها وهي الفرد مقابل الدولة أو الفاعلين من غير الدول (أشخاص- ومجموعـات) (non-state actors) ولعل ظاهرة وثائق ويكليكس تأتي أحد تجليات هذا التبدل الجديد في الموازيـن الـذي تتيحه القدرات اللا متناهية لمهـارة الفرد الممزوجة بقدرة تكنولوجيا الاتصـالات، الحقيقة أننا أمام عصر تتبـدل فيـه ليس مفاهيـم الزمان والمكان فحسب بـل مفاهيم أخرى كانت فيمـا مضى حكراً على الدول مثـل مفهوم السيادة ومفهوم الدبلوماسية السرية .

obeikandl.com

الأمريكيين والمقاومة الجزائرية مع الاحتلال الفرنسي كما تمكنت المقاومة العراقية من دحر العدو وتدمير معنوياته وزيادة مساحة اشتعال المقاومة ونقل المعركة من ميدانها في العراق إلى داخل الولايات المتحدة وانقسام دوائر صنع القرار فيها حول جدوى الاستمرار، كما نجحت المقاومة العراقية في التأثير والتحكم بنتائج الانتخابات من خلال حجم الخسائر وتدمير معنويات الجنود، وكذلك نجحت المقاومة الفلسطينية في حرب غزة من تحريك الرأي العام العالمي وتعبئته ضد الكيان الصهيوني وفضح جرائمه مباشرة مما شكل ضغطاً دولياً هائلاً على الجيش الإسرائيلي لوقف عدوانه .

إن الحاجة إلى طلائع وكوادر إلكترونية أصبح أمراً لا يقل خطورة لأي حركة مقاومة في عملها اليومي ميدانياً، فالأعمال المهمة والنوعية للمقاومة لا قيمة لها إذا لم يجر استكمالها إعلامياً ونفسياً من خلال هذه الفصائل المتخصصة.

ثالثاً – وسائل تنفيذ الإستراتيجية: في مراحل مبكرة من تجارب الشعوب في مقاومة الاحتلال والاستعمار كانت الوسائل المتاحة للمقاومة الإعلامية تتصف بالبساطة ولا تتجاوز الاتصال المباشر بالجماهير وما ينطوي عليه من مخاطر جمة لا توازي أحياناً حجم ومستوى التأثير وكذلك توزيع النشرات والمنشورات وفي أفضل الأحوال كانت الإذاعات في الأدغال تؤدي دوراً محورياً رغم محدوديه مستخدمي المذياع آنذاك، إما في ظل ثورة الإعلام والمعلومات ووسائل الاتصال الحديثة فإن شبكة من الوسائل لم تعد محدودة وأصبحت متيسرة وسهلة الحصول عليها، ولم تعد المعضلة والتنافس في الوسائل بل بالقدرة على اللحاق بملايين المعلومات التي تضخ كل ثانية، وكيفية تصنيفها وتحويلها من معلومات إلى نظام معرفي يمكن تسويقه للتأثير بمنظومة القيم السائدة وقيادة الرأي العام وتوجيهه عن بعد .

تتراوح وسائط التأثير في الرأي العام المسموعة والمقروءة والمرئية ما بين القنوات الفضائية والصحف والمجلات والإذاعات وأخطرها على الإطلاق طاقات وقدرات شبكة الإنترنت التي أنشأت في الأصل لأغراض عسكرية صرفة[1] وتمثل ثورة حقيقية خلاقة

(1) بدأت شبكة الإنترنت العالمية في أواخر الستينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية كمشروع ممول من قبل وزارة الدفاع الأمريكية وذلك لأغراض عسكرية صرفة وكانت تطبيقات الشبكة حتى نهاية عقد الثمانينات تطبيقات

obeikandi.com

ومتجددة في الاتصال عن بعد وتحويل العالم حقاً إلى قرية صغيرة. حققت هذه الشبكة في بعض الأحداث العالمية الأخيرة قفزة في التأثير بالرأي العام عندما كانت الأحداث تنقل باللحظة عبر شاشات الفضائيات وكأن العالم برمته حاضراً في مسرح وميدان العمليات أو المظاهرات، كذلك لا يمكن إغفال الثورة المتجددة في صناعة الهواتف الشخصية والمحمولة التي بالإمكان من خلال الأجيال المتطورة منها اختصار كافة وسائل الإعلام المذكورة أعلاه في هذه الهواتف النقالة وهي بحجم تتسابق الشركات العالمية لاختصاره بأقل من حجم علبة الكبريت .

تنبع أهمية الدعاية والإعلام كونهما مقدمة حقيقية لتشكيل الوعي السياسي وتأسيس قواعد لانطلاق العمل السياسي، فالآلة الإعلامية الأمريكية أنتجت وسوقت مئات الأفلام وفبركت عشرات الحقائق لغرض التأثير في الرأي العام الأمريكي ودافعي الضرائب لشيطنة هذا النظام السياسي أو ذاك حسب متطلبات السياسة الخارجية الأمريكية ومصالح محاور الصناعة العسكرية – النفطية، ومنذ انتهاء الحرب الباردة وقعت السياسة الخارجية الأمريكية في مأزق فهي لا تستطيع التحرك من دون (صناعة عدو) بمواصفات أممية ومنذ ذلك الحين دأبت الآلة الإعلامية الغربية على ربط الإسلام بالإرهاب، فلا يخلو فلم أو مسلسل أمريكي من الإشارة ضمنياً من خلال الملابس أو الإشارة صراحة عن علاقة الإرهاب بالعرب والمسلمين، وعلى الرغم من بشاعة جرائم الاحتلال الأمريكي في العراق إلا أن الآلة الإعلامية الأمريكية تعمل على قدم وساق على تصوير جنود الاحتلال في العراق على أنهم محررين وضحايا الإرهاب.

إن إستراتيجية المقاومة الإعلامية لا يمكن لها أن تعيش في الفراغ وكأنها

خاصة بالمجال الأكاديمي ولخدمة أغراض ومشروعات البحث العلمي لصالح الأمن الإستراتيجي للولايات المتحدة وحلفائها، ولقدرتها على ربط عشرات الآلاف من الشبكات المختلفة، فقد تطورت كشبكة عالمية توفر تطبيقين رئيسين هما البريد الإلكتروني والمعلومات الإلكترونية . لقد شكلت شبكة الإنترنت تتويجاً لاندماج مكونات الكومبيوتر والبرمجيات والاتصالات كما أنها اليوم تمثل قلب التحولات الجارية في عصر الانتقال الفوري للمعطيات غير المادية وتوسيع الاتصالات والشبكات الإلكترونية حيث أصبحت الطرق السريعة للاتصالات عبر الإنترنت تقوم بما قامت به السكك الحديدية في العصر الصناعي. لمزيد من التفاصيل انظر : خالد المعيني، الحافات الجديدة – التكنولوجيا وأثرها على عناصر القوة في العلاقات الدولية، دار كيوان للنشر، ص: 167 .

obeikandl.com

مقطوعة وبمعزل عن بقية الأنماط الأخرى من المقاومة وخاصة العسكرية والسياسية كإستراتيجيات فرعية، فهناك حاجة ماسة للتناغم مع بقية الأنماط في إطار الإستراتيجية الشاملة وهي بذلك إنما تستمد حيويتها وديمومتها من ارتباطها أفقياً ببقية أنماط المقاومة وتبادل الأدوار معها وعمودياً من خلال الالتزام ببوصلة وحدود الأهداف السياسية العليا للإستراتيجية الشاملة في إدارة الصراع ضد الاحتلال. ومن المهم في تصميم الإستراتيجية الإعلامية إشاعة ثقافة جديدة ومفاهيم جديدة وسط المجتمع خاصة تلك المتعلقة بمفهوم الأمية، فالأمية في عصرنا الحالي لم تعد الأمية الأبجدية المتعلقة بمعرفة القراءة والكتابة كما تم التعارف عليها في منتصف القرن الماضي وإنما يقصد بها الأمية الإلكترونية ومعرفة استخدام وسائل الاتصال الحديثة والتكيف معها وفي مقدمتها الإنترنت، والتركيز في هذا الخصوص على استيعاب طاقات الشباب وخاصة شريحة الطلبة ذات الطاقات الخلاقة والمتفجرة والمندفعة ذاتياً إلى المستقبل، وإعداد ما يلزم من قبيل المسوحات والإحصاءات اللازمة للتعرف على ميولهم واتجاهاتهم ومنظومة القيم السائدة في أوساطهم لضمان الانسجام والتعشيق مع طريقة تفكيرهم قبل التوهم بالتأثير فيهم، هذه الشريحة هي من أكثر شرائح المجتمع تقبلاً وشغفاً بتطورات العصر ومنتجاته وخاصة الإلكترونية وأكثرها رغبة في التغيير لأن هذه الشريحة الوحيدة التي تملك الحاضر والمستقبل.

obeikandi.com

4 - الحروب غير المتماثلة

ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الصراع يمثل سمة جوهرية من سمات العلاقات الدولية وأنه كالمادة لا تفنى ولكنها تتحول من حالة إلى أخرى، والدول في سعيها المستمر لامتلاك مقومات القوة القصوى،قد تصل في ذلك إلى مديات متقدمة في حيازتها، إلا أن هذا التقدم وفي كل مراحل تاريخ القوة عادة ما يحمل بين طياته عوامل وبذور ضعفه ومقاومته، وفي النظام السياسي الدولي الراهن تهيمن الولايات المتحدة كقوة عظمى على مثلث القوة العالمي بأضلاعه الثلاثة العسكري والاقتصادي والتكنولوجي، فلم تعد هناك دولة يمكنها أن تشن حرباً تقليدية أو غير تقليدية ضد الولايات المتحدة،ومع ذلك فإن الأمن القومي لأعظم قوة بات مهدداً بنوع مختلف من التحديات وهو ما يطلق عليه بالحرب غير المتماثلة (Asymmetrical War)[1]. يتمحور جوهر هذا النمط الجديد من الحروب حول التشديد على فكرة الغموض أو اللايقين وتتلخص أهمية هذه الفكرة في عدم إمكانية تحديد ماهية العدو بجلاء وأين هو ميدان المعركة، إن الحرب غير المتماثلة إنما تدور في بيئة غامضة يمثل الشك وصعوبة التنبؤ سمة أساسية فيها[2]. ميزة هذا النمط من الحروب تكمن في أن المقاومة وهي الطرف الأضعف فيها تتقمص دور الخطر الغامض، فمحاولة اللحاق والتنبؤ بسلوك المقاومة قد يتحول لدى الطرف الأقوى المنظم إلى نوع من جنون الارتياب حيث تتشكل حولها هالة من الشك والغموض لتصل إلى حالة من (اللايقين) التي عادة ما تربك أكثر المخططين مراساً. فهل هي منظمة حقيقية و

(1) محمد عبد السلام، «الحرب غير المتماثلة بين الولايات المتحدة والقاعدة»،السياسة الدولية ،العدد 14 ،القاهرة،يناير 2002، ص: 102 .

(2) توماس كوبلاند ،ثورة المعلومات والأمن القومي،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ،أبو ظبي ،دولة الإمارات العربية، سنة 2003، ص: 90 .

obeikandl.com

مـا هو حجمها و أين تتواجد و هل هي تنظيم عسكري أم هي فكر ومنظومة قيمية وحركة شعبيـة .. تساؤلات متعددة الأبعاد سياسياً وعسكرياً ونفسياً هذه الأبعاد تجعل من مفهوم النصـر وشكله أمراً غير واضح ويختلف عن الحروب التقليدية والنظامية، إنها حرب بين طرفيـن غير متكافئين تماماً، وتمثل التفاف واضح على قوة الخصم وقدراته يتم تفاديها وتحويلهـا إلـى نقاط ضعـف، ففي حين أنه مـن المرجـح أن تنجح المؤسسـة العسكرية الأمريكية المتفوقة على سبيل المثال في مواجهة أي مؤسسة عسكرية تقليدية لدولة أخرى فيما يخص التكيف مع التقنيات الجديدة، فإن المستقبل ربما يكون من نصيب الأطراف التي لا تتبع لدولة، وجهات ليس لها صفة دولية أو حكومية قد تسهل لها الثورة التكنولوجية والمعلوماتيـة إمكانية الحصول على أسلحة، ربما تكـون رخيصة وعالية التقنية، تستطيع بهـا تحييد القـدرات المتفوقة لجيوش دول عظمى فكيف يمكن أن تشـن دولة حرباً على أطـراف ليسـوا لاعبين دوليين ويختبئـون في ثنايا دول صديقة وحليفـة ففي الوقت الذي تنصـرف فيـه علاقات الطرف الأقوى مـع مستوى الحكومات والنخـب ورجال الاقتصاد حيـث يتم التغلب على المشاكل الناشئة مع هذا المستوى عن طريق التفاوض والاتفاقيات والمؤسسـات، إلا أن الطرف الأضعف في الصراع عادة ما يعمل في المستويات الأدنى – الجانب الشعبي- فيوظف عوامل التذمر والحرمان والاضطهاد والجوع لصالحه[1].

لقـد ارتقـى هـذا التهديـد وانتقـل مـن مرحلـة خطـف الطائـرات، واحتجـاز الرهائن،واستخـدام المتفجـرات العادية إلى مرحلة الهجوم المباشـر بأساليب وأسلحة غيـر متوقعـة ووسائـل إلكترونية متطورة، وقـد يصل الأمـر إلى حد استخـدام الأسلحة البيولوجية أو الكيميائية، بهدف إحداث خسائر مادية وبشرية جسيمة [2]. هذه الأطراف أو المجموعات التي لا ينطبق عليها وصف دولة حيث لا إقليم لها ولا سكان ولا عقد قيادة، سيكونون أعداء غير تقليديين من نوع جديد حيث يتمتعون بالمرونة وبالترابط الشبكي لا

(1) زلمـاي خليـل زاد وجون وايت ،الدور المتغير للمعلومات في الحرب، مركز الإمـارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد 53 سنة 2004 الإمارات العربية المتحدة. ص:36 .

(2) السيـد أميـن شلبي، الإرهاب الدولي- المصـادر والإشكاليات ،السياسة الدولية، العـدد 162، القاهرة، سنة 2002، ص: 127 .

تحكمها هياكل تنظيمية محددة، ولا تعمل في إطار نسق عسكري واضح، ولا يمكن توقع أفعالها أو ردود أفعالها، ولا تدور عملياتها على مسرح محدد وهو سياق مختلف تماماً عن السياق التقليدي للحرب . وسيمثلون أكبر التحديات التي تواجه الدول والمنظمات الدولية في المستقبل وليس الأعداء التقليديين. ففي الوقت الذي يمكن لهذه المجموعات الشبحية من استخدام إجراءات لا تصل إلى حد الحرب التقليدية، مثل شن هجمات باستعمال أشكال شبكية متلائمة مع عصر المعلومات، حيث تستطيع مجموعات صغيرة ومتباعدة أن تربط نفسها وأنشطتها شبكياً وتنسيق أعمالها عبر الإنترنت فإن الطرف الثاني – الدول – لا يزال يعتمد على هياكل هرمية سلمية لا تتناسب ولا تجيد التعامل مع هذه الشبكات ذات الطرد المركزي[1].

وتبعاً لذلك يمكن وضع تعريف لمفهوم الحرب غير المتماثلة بأنها محاولة طرف ضعيف أن يلتف حول قوة طرف قوي ويستغل نقاط ضعفه معتمداً في ذلك على وسائل مختلفة بطريقة كاملة من نوع العمليات التي يمكن توقعها، وعدم التماثل يعني أن يستعمل الطرف الأضعف طاقة الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز لكي ينتزع في يده زمام المبادأة وحرية الحركة والإرادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة وتكتيكات غير تقليدية وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل إليها بالتفكير في غير المتوقع وغير المعقول، ثم تطبيقه على كل مستويات الحرب: من الإستراتيجية إلى التخطيط إلى العمليات، فمهما طورت منظومة الاحتلال من أساليب لردع المقاومة فإن الأخيرة بسبب مرونتها العالية وهامش ابتكارها غير المحدود تستطيع أن تغير بسرعة هائلة غير متاحة لدولة الاحتلال من تكتيكاتها وبمجرد نجاح تكتيك فإنه يصبح أسلوباً قديماً لا يمكن الرجوع إليه لحرمان الاحتلال من السيطرة عليها والقدرة على فهمه وحشره في زاوية الحيرة والشك.

ولتحقيق ذلك تعمد المقاومة لمضاعفة قوتها وتحقيق أقصى أهدافها مقارنة بمواردها المحدودة إلى اعتماد بعض الأساليب:

---

(1) توماس كوبلاند، ثورة المعلومات الأمن القومي، مصدر سبق ذكره، ص : 92 .

obeikandl.com

استغلال الحيز النفسي والتعبوي واستثمار خزين الذاكرة الوطنية والدينية والثقافية كمحفزات ضد الاحتلال وتحويلها إلى أسلحة فتاكة جداً.

العمل في المناطق الآمنة حيث تضعف قبضة الاحتلال أو خارجها، أو في المجال الافتراضي الذي تتيحه اليوم الثورة الاتصالاتية .

استخدام هجمات رمزية مصحوبة بدعايات كبيرة تجتذب الأضواء وتثير ردود أفعال الاحتلال فيعمد إلى الانتقام من السكان.

إطلاق العديد من التحديات الصغيرة قليلة الكلفة وضيقة النطاق لاستنزاف طاقة الاحتلال ودفعه إلى تشتيت جهوده على أوسع مدى وفي مناطق نائية.

اعتماد الإعلام كأساس في دالة التأثير، والفعل العسكري مجرد أداة لتحقيق النتيجة الدعائية بمعنى تصميم الفعل العسكري بحدود تأثيره الإعلامي والنفسي.

في هذا الإطار، فإن الحرب غير المتماثلة شكل غير تقليدي تماماً من الحرب،لا يستخدم الطرفان فيه نفس الأدوات أو إستراتيجيات القتال ولا يخضع لمعايير التوازن السائدة ،فحسب ذلك التصور لا يوجد مسرح عمليات يلتقي فيه المقاتلون بأية صورة، ويستخدم كل طرف أسلحة غير متماثلة ،وقد لا تكون هناك علاقة بين الفعل ورد الفعل فيها ،كما أن الخطط المستخدمة فيها خارج نطاق التصور ،حيث لا يوجد تقيد بمبادئ الحرب وإنما بأفكار تنتج عن مصادفات يتم تحويلها لخطط مدروسة، وتحيط بعملياتها أقصى درجات المخاطرة، ويتم كل شيء بسرية تامة، ويختلط فيها ما هو مادي بما هو نفسي[1] .

شكل الهجوم على الولايات المتحدة في 11 أيلول 2001 النموذج المثالي الأول للحرب غير المتماثلة في مطلع القرن الحادي والعشرين، وشكل ذلك نقطة تحول في النظام الدولي،حيث أصبح هذا النمط من الحرب واحداً من الأشكال الرئيسة، إن لم يكن الشكل الرئيس –للصراع المسلح على الساحة الدولية، فلم يعد هذا النوع من الهجمات شكلاً ثانوياً من أشكال الصراع، ولم يعد مجرد أداة من أدوات الصراع المسلح، ولكنه

(1) محمد عبد السلام، مصدر سبق ذكره، ص: 103 .

أصبح شكلاً مستقلاً بذاته، بل ربما جاز القول أنه أصبح بديلاً للحروب التقليدية التي ستجري على منوالها الصراعات في المستقبل[1].

مثلت هجمات 11 أيلول 2001 مأزقاً عسكرياً حقيقياً للولايات المتحدة فعلى الرغم من قوة الولايات المتحدة الهائلة في المجال العسكري[2]، إلا أن إستراتيجيتها العسكرية والخطط القتالية ومنظومات التسليح الرئيسة للولايات المتحدة مصممة في أغلبها لخوض صراعات مشابهة للحرب العالمية الثانية والحرب الباردة ،ولكنها غير قادرة على خوض غمار حرب من هذا النوع غير المتماثل[3].

إن الحرب غير المتماثلة بمفهومها المستقبلي ليست سوى حرب عصابات قد امتزجت بالمديات اللامتناهية للقدرة التي تتيحها الاندماجات التكنولوجية في ميادين الاتصالات والمعلومات والحاسبات، لم تعد معظم الدول العدة لمواجهة مجالات للصراع يمكن أن تخوضها مجاميع مجهولة صغيرة في عدة جهات لمواجهتها، وتشير التهديدات ضد الفضاء الإلكتروني للمعلومات الخاص بالدول المتقدمة إلى إمكانية أن تؤدي إلى تدمير وتعريض اقتصادها القومي للاضطراب نتيجة وقوع هجمات على البنية التحتية المعلوماتية، فمع ازدياد اعتماد هذه الدول على تقنية المعلومات في أنظمتها العسكرية،تصبح أكثر عرضة لحرب المعلومات أثناء العمليات، وبسبب الثورة في الشؤون العسكرية تصبح أنظمة القيادة والسيطرة والاتصالات والحوسبة والاستخبارات

(1) ستيفان هالبرد وجوناثان كلارك، مصدر سبق ذكره، ص: 406 .

(2) أحمد إبراهيم محمود، «الإرهاب الجديد : الشكل الرئيس للصراع المسلح في الساحة الدولية»، السياسة الدولية،العدد 147 ،القاهرة، يناير 2002، ص: 45 .

(3) المصدر نفسه، ص: 47 . (تتميز ما يسمى بشبكات الإرهاب الدولي الجديدة في أنها تأخذ صورة شبكية Networked وليست تدرجية Hierarchical مثل تجربة شبكات الإرهاب التقليدية التي كانت تعمل من خلال سلسلة قيادة محددة، حيث تحولت بموجب خصائصها الجديدة إلى شبكة من الخلايا الخفية المنفصلة التي يربطها أسلوب خاص في الاتصال من أجل ضمان أقصى مرونة هجومية ممكنة، وأيضاً من أجل تحقيق أمنها الخاص من خطر القوة المضادة . وطبقاً لهذا النوع من التنظيم ليست هناك في الحقيقة حاجة لأن يصدر أحد أمراً لأحد . لمزيد من التفاصيل انظر : التقرير الإستراتيجي العربي ،مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية ،القاهرة، سنة 2005، ص: 81 .
زلمي خليل زاد وجون وايت، مصدر سبق ذكره، ص: 34 .

obeikandi.com

والمراقبة والاستطلاع وهي عصب هذه الثورة، في خطر من أن تسدد لها ضربة تحد من قدرتها وتشلها، إذا قام عدو أضعف بالتشويش على خطوط الاتصال التي تربط القوات في شبكة واحدة[1].

سوف تسمح نظم التقنية المتقدمة في نظم الاتصالات عن طريق الأقمار الصناعية وكذلك القوة الكامنة في شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) للدول أو الأطراف دون مستوى الدولة، أفراد أو جماعات بما فيها التي تعيش في مناطق نائية، أن يكونوا أطرافاً معلوماتيين يستعملون المعلومات للولوج إلى الشبكة العالمية والقيام بجولات افتراضية في القواعد العسكرية على سبيل المثال،حيث أصبح بالإمكان استعمال المعلومات بعدة طرق،وبقدر كبير من الأهمية والمرونة كأداة لدعم عملياتهم، لقد سهل ذلك لهذه الأطراف التعبئة والتجنيد والتدريب بل وجمع التمويل اللازم لعملياتهم وتشكيل خلايا نائمة في هذه الدولة أو تلك على امتداد العالم[2]. إن ثورة المعلومات تتحدى المنظمات الهرمية والبيروقراطية، إذ أنها تؤدي إلى تآكل الأفكار القديمة عن السيطرة المركزية التي تمثل الأساس في الوظيفة العسكرية،ومن الواضح أن الشبكات لها مزايا خطيرة الشأن فيما يتعلق بالتكيف والمرونة مقارنة بالبنى الهرمية المتصلبة للدولة عند التعامل مع بيئة المعلومات الجديدة . ولم تعالج معظم الدول لغاية الآن فعلياً المشكلة، أو حاولت أن تفكر في الكيفية التي سوف ترد بها في المستقبل على الأعداء المترابطين شبكياً الذين لا ينتمون إلى دولة.

في عالم المعلوماتية ستتمكن مجاميع صغيرة من تصميم وصناعة أسلحة نووية وجرثومية بالاستفادة من الاستخدام المزدوج للمنتجات المصنعة لأغراض اقتصادية مدنية،حيث إنه من السهل في ظل المعلوماتية منع خصم من الاستفادة من أسلحة ذات تقنية قديمة نسبياً مثل الصواريخ وتوجيهها بدقة إلى الهدف المحدد، ويكفي من أجل ذلك إضافة جهاز استقبال ملاحي وقابلوات جديدة وعناصر مكملة أخرى قد يكون من

(1) زلمي خليل زاد وجون وايت، مصدر سبق ذكره، ص: 34 .

(2) توماس كوبلاند، مصدر سبق ذكره، ص: 132

obeikandl.com

الصعب تصورها حالياً ولكنها في المستقبل القريب سيكون ذلك متاحاً، باختصار فإن إضافة تقنيات جديدة من (الموجة الثالثة من نمط القوة الحديثة) متوافرة تجارياً لأسلحة (الموجة الثانية من نمط القوة التقليدية) القديمة تحولها إلى أسلحة ذكية بأسعار زهيدة وتجعلها في متناول الجيوش والأطراف الضعيفة[1].

تعد التهديدات الإلكترونية المتمثلة باستخدام أنواع مختلفة من الفيروسات البيولوجية وفيروسات الحاسوب والإدراك بمثابة تهديدات للأمن القومي للدول من نوع الحرب غير المتماثلة، حيث يهدف عدم التماثل إلى أن تتفادى الأطراف الأضعف مكامن قوة الدول العظمى[2] وأن تستغل نقاط ضعفها وهذا ممكن بواسطة استعمال مجالات الفيروس المختلفة، حيث تحاول هذه الأطراف خوض معارك حرب بيولوجية ،ويمكن لهجوم بيولوجي أن يعوق على سبيل المثال اعتماد الولايات المتحدة على عناصر السرعة وخفة الحركة في أثناء القتال ويستغل عدم استعداد الولايات المتحدة الأمريكية المتصور لتحمل الكثير من الخسائر البشرية . كما يمكن أن تستخدم فيروسات الحاسوب في الحرب غير المتماثلة إذ يمكن الفيروس المرء من القفز فوق حقائق الجغرافية عبر البحار وزرعه في الحواسيب والتشويش على شبكات المصارف وأسواق الأوراق المالية ونظم توزيع الغاز الطبيعي والطاقة الكهربائية كما يعوض استعمال فيروسات الإدراك الاستعمال المادي للقوة بالتحرك بعيداً عن ميدان القتال الفائق التقنية والنفوذ إلى داخل النطاق الإنساني من خلال حقن الفيروسات التي تنتقل بالمحاكاة التي تتصف بالغموض والتعقيد، الأمر الذي يعقد من جهود صناع السياسة في إقناع الرأي العام[3].

هناك ثلاثة أنواع من الفيروسات ستشكل بلا شك مقتربات وآليات لحروب

(1) ألفن وهايدي توفلر، الحرب والحرب المضادة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ليبيا ، سنة 1995، ص: 268-269.

(2) التعريفات الشائعة للفيروس 1. معنى قديم : السم، 2. العامل المسبب لمرض معد 3. شيء يسمم العقل أو الروح، وحالياً يعرف الفيروس بأنه أي عامل يحصل على معدات خارجية للاستنساخ ويستخدمها لكي ينتج نسخاً من نفسه . راجع توماس موبلاند ،مصدر سبق ذكره، ص: 85.

(3) زلماي خليل زاد جون وايت،مصدر سبق ذكره، ص : 127 .

obeikandl.com

وصراعات المستقبل:

أولاً : الفيروس البيولوجي : أي مجموعة كبيرة من العوامل تحت المجهرية المعدية، التي تسبب العديد من الأمراض الخطيرة للإنسان أو الحيوانات أو النباتات .

ثانياً : فيروس الحاسوب: برنامج للحاسوب يمكن أن يعدي برامج حاسوب أخرى بتعديلها لتكون نسخة متطورة منه .

ثالثاً : فيروس الإدراك : عامل ينتقل للناس عن طريق المحاكاة، أي وحدة معلومات في العقل يؤثر وجودها في إعادة هيكلية وقناعات العقول الأخرى .

obeikandl.com

5 - المقاومة العراقية ومعايير حركات التحرر الوطني

هنـاك خلط حاصل في تداول بعض المفاهيم فـي الشأن المقاوم العراقي، ويأتي فـي مقدمة ذلك تداخل مفاهيـم المقاومة مع مفهوم حركة التحـرر الوطني، وقد يصلح هـذا الخلط في إطار التأثير الإعلامي والنفسي، أما على المستوى السياسي فإن معالجة هـذا الأمر إنما تأتي استجابة لحاجة ماسة فـي هذه المرحلة لتشكيل وعي عميق في فهم منحنـى تطـور تجربة المقاومة في العـراق، والمساهمة عبر جهود علميـة سياسية جادة ورصينـة فـي بلورة مفهـوم واسع لتجربة هـذه المقاومـة الفريدة، يخرجها مـن مستوى المحليـة إلى العالمية، ومن التخندق الفئوي ومحاولات حصرها في البعد العسكري رغم أرجحيتـه إلى رحـاب مجالها الوطني، كي تصلح في نهاية المطاف كإطار واسع وحقيقي لقضيـة العـراق وبديل مستوفي لكافـة أركان المكافئ السياسي، يستطيـع استيعاب كافة أشـكال الحراك العراقي المقاوم والرافض والمناهض للاحتلال ومشروعه في العراق، ويفي بمتطلبات تكامل وتناغم أشكال المقاومة العسكرية والسياسية والمدنية .

لـم تكن كلمة المقاومة متداولـة في أدبيات القانون الدولـي ونصوص الاتفاقيات الدوليـة الواردة بشأن الصراعات والحروب، وإنمـا ورد مصطلح الميليشيات التي تسير خلف الجيوش كما ورد في بنود اتفاقية لاهاي عام 1907.

إلا أن مصطلح المقاومة قد ورد في اتفاقيات جنيف الثالثة سنة 1949 التي شرعت لأول مـرة شـروط تصنيـف المقاوم فـي المـادة 4 / أ – 2، ومن الجديـر بالذكر هنا أن الدوافـع الحقيقية لهذا التصنيف كانت تخص مصالح الشعـوب الأوروبية حصراً، حيث شهـدت معظـم دول أوروبا حـركات مقاومة ضد الاحتـلال العسكري الألمانـي (فرنسا، يوغسلافيـا .....) ولأن أوروبا لم تتعرض لظاهـرة الاستعمار، وهناك فرق بين الاحتلال وبين الاستعمار، فنجد أن حقوق الشعوب الأخرى التي كانت تتعرض في نفس تلك المرحلة لظاهـرة الاستعمار الأوروبي لـم تحظ بأي اعتراف رغم ورود نص عام حول حق الشعوب

obeikandl.com

في تقرير مصيرها في المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، لكن هذه المادة بقيت غامضة دون تحديد الآليات[1].

جاء التحول النوعي في تطور مفهوم المقاومة من خلال دورات مؤتمر جنيف الدبلوماسي للعمل على إنماء وتطوير قواعد القانون الدولي الإنساني ، المطبق على النزاعات المسلحة هذه الدورات التي عقدت في جنيف بين عامي 1974 - 1977 ، والتي توجت بإقرار البروتوكولين الإضافيين لاتفاقيات جنيف ، وتم التوقيع عليهما في 10 حزيران 1977، وكانت محطة فاصلة ومهمة في تطور القانون الدولي لتقنين تحريم حرب العدوان، وحق الشعوب في تقرير المصير، وغيرها من القضايا التي تحمي أفراد المقاومة المسلحة ضد المحتل، فاعترفت بمشروعية حق الشعوب في مقاومة الاحتلال والاستعمار واعتبار المنازعات المسلحة الناجمة عن نشاط حركات التحرير بمثابة نزاعات مسلحة دولية ، وكان للاتحاد السوفييتي السابق والمنظومة الاشتراكية دوراً بارزاً في دعم حق هذه الشعوب في تقرير مصيرها، ودخول حركات التحرر الوطني إلى ساحة المنظومة الدولية وإلى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

لقد حولت بروتوكولات عام 1977 الإضافية والملحقة باتفاقية جنيف، حركات التحرر الوطني إلى لاعب رسمي معترف به في النظام السياسي الدولي وأضفت عليه أهلية وطنية كي تتمكن هذه الحركات من التفاوض باسم شعوبها.

يأتي هنا بيت القصيد في ضرورة التفريق بين مفهوم المقاومة (بمحتواها العسكري) الذي ورد تصنيفه وشروطه في اتفاقية جنيف الثالثة سنة 1949 وبين مفهوم حركة التحرر الوطني المستوفية لشروط تمثيل الشعوب المقهورة كما وردت عام 1977 في البروتوكول الخاص والذي يعطيها حق ومشروعية تمثيل شعوبها رسمياً في المحافل الإقليمية والدولية بما في ذلك التفاوض وتوقيع الاتفاقيات[2].

(1) نصت المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة على :(ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات ، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء «الأمم المتحدة» وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي).

(2) د. حسن جوني، محاضرة قانونية في المؤتمر الثالث لدعم خيار المقاومة ، بيروت، 20 شباط 2010.

obeikandl.com

لكـن مـا هـي شروط حـركات التحرر؟ فهناك فـرق كبير بين حـركات التمرد أو الميليشيـات وبين حـركات التحرر الوطني وفـق القانون الدولي الذي يرتـب طبقاً لذلك اعتبارات وانعكاسات سياسية ودبلوماسية، فحركات التحرر الوطني طبقاً للقانون الدولي بمثابة صيغة متقدمة ومتطورة لظاهرة المقاومة بعد أن تستوفي عدة شروط لازمة للتحول إلى وصف حركة تحرر وطني، تماماً على شاكلة تجارب جبهة التحرير الوطني الجزائرية والمجلس الوطنـي الفلسطيني وجبهـة التحرير الوطنيـة الفييتنامية مـع خصوصية كل تجربـة في إطـار ظرفها الزماني والمكانـي والاجتماعي والدولي ويمكـن أن نلخص هذه الشروط كما يلي:

1. أن تكون هذه الحركات تحارب سلطة احتلال، أي واقعة فعلياً تحت الاحتلال، وأن يكـون هدفها تحرير أوطانها من الاحتلال، وتقرير مصير شعوبها المقهورة، وعدا ذلك فإن هذه الحركات ضرب من ضروب التمرد.

2. أن تكون معظم فصائل المقاومة المسلحة منظوية تحت إطار جبهة وطنية موحدة مستكملة لمنظومة القيادة والسيطرة إضافة لبقية المقومات السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية تشترك فيها معظم القوى والهيئات والشخصيات والأحزاب بغض النظر عن الاعتبارات الطائفية والعرقية ليتسنى لها تمثيل الشعب الذي تقاتل من أجله.

3. تعرض هـذه الجبهة برنامجاً ومنهاجاً سياسياً واقعيـاً يحمل في طياته مشروعاً نهضوياً متكاملاً لبناء الدولة المستقلة والحديثة.

4. تحظـى هذه الجبهة ومشروعهـا السياسي برضا والتفاف معظـم شرائح الشعب الذي تناضل من أجل حريته واستقلاله وسيادته.

وهكذا فإن قيمة القتال والعمل المسلح تكمن في حدود أهدافه السياسية النهائية، إن القتـال بحـد ذاته ليس أكثـر من وسيلة ولا يمثـل غاية الشعوب المغلوبـة على أمرها، والقـوة الحقيقية في حركات التحـرر الوطني، إنما تكمن في أصل الأفكار والأهداف التي تقف خلف من يحمل السلاح ومدى وضوحها ونضجها وعقلانيتها وانسجامها مع تطلعات ورغبات الشعب وقدرتها للاندفاع إلى المستقبل.

obeikandl.com

باستكمال هذه الشروط ستحظى المقاومة بما لا يقبل الشك بفرصة أكبر لاستعادة روح المبـادرة والمبادءة وتعطيها زخمـاً دافعاً جديداً إلى الأمـام، ويمكن إجمال النتائج الإيجابيـة والفوائـد الإستراتيجية الناجمة عن هـذه الانتقالة في تطـور حركة المقاومة العراقية الوطنية بما يلي :

1 - المساهمـة فـي استعادة التفاف الحاضنة الشعبيـة مرة أخرى بعد تكرار فشل مشاريع الاحتلال السياسية وتساقط رموزها. وزيادة مساحة الأمل والثقة بالنفس للأجيال العراقية الناهضة والمتمردة على الاحتلال ومشروعه في العراق .

2 - يفتـح بـلا شك بوابات أوسع للعلاقات الخارجيـة والتمثيل في المحافل الدولية والإقليميـة لانتزاع شرعية المقاومة العراقية، لأنها ستتيح حرية أكبر و مقبولية أكثر من قبـل الأنظمة الرسمية والمنظمات الإقليمية والدولية فـي إمكانية التعامل مع ممثلين عن المقاومـة العراقية في إطار حركة تحرر وطني بدلاً من التعامل خلسة مع هذا الطرف أو ذاك، نتيجة لعدم استقرار مرجعية سياسية وطنية موحدة ذات خطاب سياسي موحد.

3 – استثمـار الفـوز العسكري الهائل الذي أنجزته المقاومـة العراقية في صراعها ضـد قوات الاحتـلال واستكمال الهدف الجوهري من وراء خوضـ هذا الصراع والمتمثل بالأهداف السياسية النهائية الواضحة .

4 – ضمـان حقوق دماء شهداء وأسرى ومعتقلي المقاومة العراقية وعوائلهم طبقاً للقانـون الدولـي الـذي يتعامل مع قتلـى وأسرى حـركات التحرر الوطني فـي ظل حالات الاحتلال المستوفية للشروط، كجنود نظاميين وأسرى حرب، الأمر الذي يرتب تعويضات مادية ومعنوية مستقبلية .

5 – ستكـون هذه الخطوة بمثابة انتقالة نوعية وعميقة في مجرى ومنحنى الصراع، وسيكون لها انعكاسـات إيجابية وتأثيرات مركبة في كافة جوانب العمل المقاوم، وستضع حـداً لحالـة التشرذم الذي تعاني منه ضفة القوى الوطنيـة المناهضة للاحتلال، كما إن هـذه الخطوة ستكون كفيلة بإغلاق تجارة الدكاكين والأكشاك، التي تتاجر بدماء شهداء المقاومة وتطلعات الشعب العراقي من خلال طرح المشاريع الوهمية ذات الحمل الكاذب

obeikandl.com

بين الحين والآخر .

6 – ستتيح هذه الخطوة قدر أكبر من المرونة وحرية الحركة والمناورة بالقدرات والإمكانات المتاحة لكافة الفصائل الكبيرة منها أو الصغيرة أو الناشئة حديثاً، من خلال التكامل والتعشيق وتركيز الجهود وتكثيفها في كافة الميادين .

7 –تؤسس هياكل تصلح لبناء دولة المستقبل من خلال استيعاب الكفاءات العراقية في كافة الاختصاصات السياسية والعسكرية والقانونية والعلمية.

في نموذج تطور تجربة المقاومة العراقية الوطنية عبر عدة مراحل، والتي انبثقت في البداية كرد فعل شعبي وطني وعفوي واسع ضد الاحتلال، لم يلبث أن تطور على هيئة مئات الفصائل والمسميات وكانت أقرب إلى ثورة شعبية ضد الاحتلال إذا ما قيست على أساس عدد العمليات العسكرية المنفذة ضد قوات الاحتلال في المراحل الأولى، ثم نضجت هذه الفصائل فتمخض عنها عدة جبهات واضحة المعالم والقيادات والبرامج، هنا تجدر الإشارة إلى أنه وبسبب استمرار حالة الاحتلال الأمريكي المباشر للعراق وعلى العكس من بعض حركات المقاومة في المنطقة، فإن طبيعة فصائل المقاومة العراقية تعد مستوفية لشروط ومعايير حركات التحرر الوطني ولكن بشرط إنجاز الحلقة الأخيرة من منحنى تطورها، واستكمال الشروط الواردة أعلاه في المعايير الدولية من خلال إعلان الإطار والجبهة السياسية العريضة التي تستوعب الحراك المناهض للاحتلال بكافة أشكاله وألوانه .

مما تقدم فإن الدعوات المتكررة من قبل بيوت الخبرة والسياسيين والمفكرين بضرورة إنجاز مشروع متكامل للمقاومة العراقية والتئام معظم الفصائل المقاومة والقوى السياسية المساندة لها في إطار جبهة وطنية عريضة أو في مجلس سياسي وطني لها ما يبررها ،وهي لا تأتي من باب الترف الفكري وإنما تأتي استجابة موضوعية واستحقاق حاكم لا غنى عنه، وضرورة لا يمكن لأحد أن يستمر في تجاهلها أو التكاسل و التغافل عنها، ولعله في استكمال هذه الشروط مع حصول متغيرات إيجابية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي التي تأتي في مقدمتها هزيمة القوات الأمريكية في العراق وانتصار

الشعب العراقي على ثقافة الاحتلال والأفكار الظلامية وهزيمته للفتنة الطائفية والعرقية، كفيلة بإنجاز المرحلة الأخيرة من تحرير الأرض والإنسان في العراق .

obeikandl.com

6 - المقاومة وآليات التعامل مع القوات الحكومية في ظل الاحتلال

تتجلى أهمية القوات المسلحة في كونها صمام الوحدة الوطنية في حالتي السلم والحرب، فهي حامية للدستور والسلم المدني وتمثل سور البلاد الخارجي الحصين في حين يقع على عاتقها في حالة الحرب حماية البلاد وصد العدوان الخارجي .

وعندما تذكر الدول وعناصرها تأتي القوات المسلحة والجيوش في مقدمة العنصر الثالث لنشأتها ونعني بها الحكومات بعد عنصري الشعب والأرض، فالعدالة والازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي والديمقراطية وكافة المفاهيم الإنسانية المتقدمة لا يتسنى لمجتمع ما تحقيقها ما لم تكن هناك قوة تحميها من العابثين والمتربصين والمغامرين، قوة تحمي القوانين وتضمن سريانها، تحمي الدستور وهو الوثيقة أو العقد الذي يتفاهم عليها أبناء المجتمع.

ويشكل الأمن بالمعنى الواسع، الوظيفة الأساسية للدول وتنشئ الجيوش لضمان حماية ووحدة وأمن مجتمعاتها والتصدي ضد أي عدوان يهدد ركائزها، وعندما تهدد الأخطار الدولة وتتعرض إلى الاحتلال والغزو الأجنبي وتعجز عن مواجهته فلا مناص من اضطلاع الشعب أفراداً ومجاميعاً بمهمة استعادة السيادة والاستقلال وذلك من حقه فالأصيل ينبري إلى سد عجز الوكيل.

وعدا عن حالتي السلم والحرب فإن وقوع ظاهرة الاحتلال تعني من الناحية الواقعية عجز الجيش النظامي عن صد الغزو والعدوان الخارجي سواء كان هذا الاحتلال كليًّا لعموم البلاد كما في حالتي الجزائر والعراق، أو جزئياً كما في حالتي فييتنام وفلسطين ولبنان، وفي كافة الحالات وطبقاً لتكرار ظاهرة الاحتلال في العلاقات الدولية، فإن دراسة هذه التجارب تشير إلى أن إدارة الاحتلال غالباً ما تلجأ للتخفيف من وطأة ردة فعل الشعوب والتي عادة ما تتبلور على هيئة مقاومة، إلى تدمير وتشتيت الجيوش

obeikandl.com

الوطنيــة للبلاد المحتلة وخاصة تلك التي لم تستسلـم، وعوضاً عن ذلك يباشر الاحتلال بتجميـع بعضـ الشـراذم المتعاونـة والموالية له و الاستعانـة بها في تنفيـذ مهامه، يبدأ بتنظيمها وتدريبها وتسليحها لتشكيل ما يشبه النواة لقوات مسلحة محلية وفقاً لمقاساته وغاياتـه ومصالحه وأهدافـه المتمثلة بأهداف الغزو أصلاً ولتكـون هذه القوات متاريس بشرية وسداً يقف بين قوات الاحتلال وبين المقاومة الوطنية.

وفـي نموذج احتلال العراق فـإن الجيش العراقي الوطني قاتـل القوات الأمريكية بضراوة ومطاولة منقطعة النظير وبصورة مستمرة منذ عام 1991 ولغاية الاحتلال الفعلي فـي نيسان عام 2003، رغم التفاوت الهائل فـي القدرات ما بين جيش يمثل القوة العظمى الأولـى في العالـم نووياً وعسكرياً وتكنولوجيـاً واقتصادياً وما بين جيشـ تقليدي حوصر وأنهك بحروب طاحنة ومغامرات غير محسوبة متواصلة استمرت لأكثر من ربع قرن نالت من إمكانياته وقدراته وتسليحه ومعنوياته [1].

(1) .بلغ تحشد قوات التحالف الأمريكي / البريطاني ضد العراق يوم 5 آذار2003 على النحو التالي:
55000جنـدي أمريكـي من القـوات البرية في الكويت، 45000 جنـدي أمريكي من مشاة البحريـة(االمارينز) المحمولين بالسمتيـات،20000 جنـدي أمريكي من تشكيلات الفرقتيـن المحمولة جواً (101-82)،62000 جنـدي أمريكي من الفيلق الخامـس ،60000 جنـدي أمريكي من الفرقـة المدرعة الأولى في ألمانيا وفرقة الخيالة الجويـة من الولايات المتحدة ،450 طائرة أمريكية محمولة على متن خمسة حاملات طائرات عملاقة ثلاثة منها في الخليج واثنتان في البحر الأبيض المتوسط، 90 طائـرة تحملهـا حاملة الطائرات السادسة ،550 طائرة مقاتلة هجوم أرضي متمركزة في قواعد دول الخليج ، 24 قاصفة عملاقة من طراز (B-52) ، قاصفتين عملاقة طراز (12 ، XB-2) قاصفة أمريكية عملاقة من طراز (B-52) في قاعدة (fair ford) البريطانيـة، 9 سفن صولة برمائية تحمـل وحدات مارينز ، 37قطعة أرض بحرية ضخمة وغواصات أمريكية يستطيـع أي منهـا إطلاق صواريخ كروز بمـدى 1800 – 2500 كم ، 13 قطعة بحرية أمريكيـة ضخمة بضمنها 5 غواصات قـادرة علـى إطلاق صواريخ كـروز ، 12 قطعة بحرية بريطانية ضخمـة بضمنها غواصة واحدة . في المقابـل لم تكن الفيالق والجحافـل البريـة العراقية تمتلك غطاءً جوياً، حيث توجـد 150 طائرة مقاتلة موزعة على خمسـة قواعد جوية وسط العراق (الحبانية،بلد ، كركوك، حديثة ، القيارة)، أربعة ألوية صواريخ مسيرة (فولكا وبيجورا)، بضعة آلاف من المدافع ورشاشات مقاومة طائرات، 9 زوارق قاذفة للطوربيدات في ميناء أم قصر ، 70 طائرة سمتية .
دون الدخـول بالتفاصيـل عن تفاوت القدرات وأجيال ومديات الأسلحة وحجم القوة النارية ما بين الطرفين واستخدام أسلحة الليزر وإمكانيات الأقمار الصناعية وفي ظل منطقتي الحظر الجوي المفروضة على العراق منذ عام 1991 سواء شمال خط عرض 36 أو جنوب خط عرض 32 حيث بلغ مجموع الطلعات الجوية الأمريكية والبريطانية فقط منذ كانون الأول 1998 لغاية تشريـن الثانـي 2002 أكثر من 44 ألف طلعة جوية مسلحة ، لقد أنهت هـذه الطلعات وأنهكت جميع الرادارات وقواعد إطلاق الصواريخ وغرف عمليات الدفاع الجوي قبل بدء العمليات العسكرية يوم 20 آذار 2003 . يمكن الاستنتاج من انفراد طيران=

دشنت إدارة الاحتلال في بداية عهد حكمها المباشر للعراق عام 2003 باتخاذ قرارين كانا غاية في الخطورة، وتركت أسوأ الأثر على مستقبل العراق حيث تم بموجبهما تدمير صمامات الضبط الاجتماعي والتي خلفت جرائها الكثير من الفوضى وعمليات السلب والنهب والانفلات الأمني التي أعقبت احتلال بغداد، وبتشجيع ومساعدة مباشرة من قوات الاحتلال، فكان قرار حل الجيش العراقي بمثابة مقدمة لحل وتدمير الدولة العراقية ومؤسساتها الوطنية وإعادة بناء نظام سياسي وفق معايير جديدة على أساس دولة ضعيفة وهزيلة ومفككة وحليفة للولايات المتحدة الأمريكية.

القرار الأول هو قرار حاكم الاحتلال المدني بحل الجيش العراقي ذي الرقم 2 والصادر بتاريخ 23 أيار 2003، ثم قرار قوات الاحتلال ذي الرقم 91 والصادر بتاريخ 6 تموز 2004 والقاضي بدمج الميليشيات في القوات المسلحة.

بخلاف ادعاءات الحاكم المدني للاحتلال الأمريكي بول بريمر بأن الجيش العراقي كان من الناحية الواقعية قد حل نفسه بنفسه، كانت هناك لغاية يوم 9 نيسان 2003 أربعة فيالق لم تمس وهي الفيلق الرابع (العمارة) والفيلق الثاني (المنصورية) والفيلق الأول (كركوك) وأخيراً الفيلق الخامس (الموصل).

إن الأسباب الحقيقية المباشرة وغير المباشرة التي وقفت وراء قرار حل الجيش العراقي يمكن إجمالها كما يلي:

أولاً – الأسباب الدولية: يشكل ضمان أمن إسرائيل أحد أهم أهداف الاحتلال الأمريكي الإستراتيجية، وتاريخ الجيش العراقي يشير إلى خطورة هذا الجيش وعقيدته العسكرية على مستقبل الأمن الصهيوني، لذلك يشكل تدمير هذا الجيش واستبداله بقوات ذات عقيدة طائفية وعنصرية هدفاً صهيونياً لإخراج العراق من معادلة الصراع العربي الصهيوني كقوة عربية متوازنة مادياً وبشرياً.

ثانياً – الأسباب الإقليمية: وجود رغبات إقليمية للإخلال بمعادلة توازن القوة

= التحالف بالعمل في جميع الأجواء ليلاً ونهاراً وبتفوق جوي هائل وعلى مدار الساعة إلى أنه رغم قتال القوات البرية ببسالة ولغاية يوم 8 نيسان وخاصة في جنوب العراق إلا أن (السيادة الجوية) قد حسمت المعركة قبل وأثناء جميع أيام الحرب لصالح قوات الاحتلال الأمريكي دون منازع.

obeikandl.com

فـي المنطقة من خلال إضعاف دور العراق وتقزيم ثقله الإقليمي الموازن والمكافئ لهذه القوة والذي كان يمنعها سابقاً من الاندفاع باتجاه العمق العربي .

ثالثاً – الأسباب المحلية : حرضت أحزاب محلية ذات نزعات عنصرية انفصالية وكذلـك أحزاب انفصالية طائفيـة على حل الجيش العراقي الوطنـي لأن وجوده بعقيدته السابقـة يجعل من أحلامها في تقسيم العراق أمراً مستحيلاً لما لهذا الجيش من مراس وخبرة في الحفاظ على وحـدة البلاد وتدمير كافة محاولات العصيان والتمرد المرتبطة بأجنـدات خارجية، إضافة إلـى يقينها بأن بقاء هذا الجيش سيطيـح في نهاية الأمر بها واستـلام زمـام الأمور من جديـد في العـراق ومحاكمتهم جـراء تعاونهم مـع الاحتلال الأجنبي.

خضع العراق منذ عام 2003 إلى احتلال استوفى كافة أركان العدوان طبقاً للقانون الدولـي وانبثقت في مواجهته جراء ذلك وكرد فعـل غريزي مقاومة شرسة شكل عمودها الفقـري الكثير من ضباط ومنتسبي القـوات المسلحة الوطنية كبـدت القوات الأمريكية خسائـر مادية وبشريـة هائلة، وبعد فشل الاحتلال عسكرياً في العـراق وانتحار مشروعه السياسـي وعجـز المليشيـات التـي شكلت القـوات الحكوميـة الحالية من فرض الأمن وافتقارها إلى معايير الجيوش الوطنية عقيدة وتجهيزاً وتدريباً، أصبحت جميع الأطراف تعـي قيمة ودور الجيش العراقي الوطني كركيزة أساسية في حفظ الأمن والاستقرار وفي حماية حدود العراق.

إن ترتيـب أولويات الأخطار التي تواجه العراق من احتلال أجنبي إلى تدخل ونفوذ إقليمي عبر الحدود وإلى تشرذم طائفي وعرقي وسيطرة تامة للمليشيات والمرتزقة على مقدرات البلد .. كل هذه المخاطر تجعل من ملف الجيش العراقي ملفاً ساخناً في المدى القريـب والمتوسـط. بقي أن نعـرف أن هذا الملـف لا يمكن في أي حال مـن الأحوال أن ينفصـل عن بقية الملفات الساخنـة والتي تشكل حزمة مترابطـة كالدستور والمصالحة الوطنية والمقاومة والتعويضات ورحيل قوات الاحتلال.

يعرف الباحثون العقيدة العسكرية بأنها (ظل السياسة في الميدان) وعادة ما يتم

obeikandl.com

بلورة العقيدة العسكرية استناداً إلى إستراتيجية الدولة وتوجهاتها السياسية، ولا يمكن أن يستقل بها الجيش بعيداً عن القرار السياسي، فعملية بناء الجيوش تكون مسبوقة بعملية لا بد منها وهي عملية اختيار الرؤية السياسية، فينشؤ عندئذ الجيش ليحاكيها في عقيدته السياسية ويترجمها إلى مجموعة من المفاهيم الأساسية العسكرية التي تسترشد بها القوات المسلحة في الإعداد والتنظيم والتسليح والتدريب والعمليات التي تناط بها.

لم تكن العقيدة العسكرية للجيش العراقي الوطني بمؤسسته العريقة قائمة سابقاً على أساس المحاصصة الطائفية والعرقية، وعلى العكس من ذلك نجد أن الأسس والمرتكزات السياسية التي أنشأت عليها القوات الحكومية الحالية تقوم على أساس تجزئة السيادة وتعدد الولاءات على حساب الولاء الوطني الموحد، فتم تقسيم هذه القوات على أساس طائفي وعرقي ابتداء من فلسفة النظام السياسي الحالي الذي أشرفت على صياغته قوات الاحتلال الأمريكي التي تشير طبقاً للدستور الحالي في الباب الأول- المادة التاسعة- إلى ما يلي: (تتكون القوات المسلحة العراقية والأجهزة الأمنية من مكونات الشعب العراقي بما يراعي توازنها وتماثلها...).

كما أن قرار تشكيل هذه القوات جاء بإرادة الحاكم المدني للاحتلال بعد قرار حله الجيش الوطني للعراق ليشكل نواة القوات الحالية من مجموعة الميليشيات الموالية والمتعاونة مع الاحتلال، كما يشير إلى ذلك قرار دمج الميليشيات المرقم 91في 6 حزيران 2004.

تنبثق فلسفة تدريب القوات المسلحة من أصل العقيدة العسكرية التي تمثل انعكاس لسياسة الدولة العامة وتوجهها وهذا ما ينسحب على التجهيز والتسليح، وفي حالة العراق فإنه من الضروري اشتقاق إستراتيجية ملائمة تتصف بالحداثة والتقنية العالية، لتجاوز الفارق الكبير الحاصل حالياً إزاء الأعداء التقليديين أو المحتملين ومواجهة الأخطار والتهديدات المركبة المتعلقة بتنامي قدرة أطراف داخلية ذات نزعة انفصالية والتي تتلاقى مع خطر وتهديد وأطماع خارجية.

إن ما يسمى تدريب القوات الحكومية الحالية لا يعدو عن تخبط وفوضى لا يستند

obeikandi.com

إلـى أي فكـرة أو أساس عسكري حقيقـي ويفتقر إلـى فلسفة موحدة، فهـي موزعة على عـدد كبير من مدارس التدريب التي تعود إلـى جيوش وعقائد مختلفة: عراقية، وإيرانية، وأمريكيـة، وبريطانيـة، وأستراليـة، وكنديـة، وأردنيـة، وقطريـة، وإماراتيـة، وألمانية، وأوكرانيـة، وبولونيـة، وكل منها يدرب حسب طريقته النابعة مـن عقيدته العسكرية، مما أدى إلى افتقار هذه القوات الجديدة إلى قواعد تدريب واشتباك موحدة.

ممـا تقـدم فإن القـوات الحكومية الحاليـة لا تمتلك أية عقيـدة عسكرية وطنية، كما أن الإستراتيجية السياسية التي تستند إليها مشوشة طبقاً لرغبة الاحتلال والأحزاب السياسية الحاكمة حالياً ذات النزعة الطائفية والعرقية.

آليات التعامل مع القوات الحكومية الحالية

تفتقـر القوات الحكومية الحالية رغم الأعداد الهائلة والثروات التي صرفت عليها إلـى مقومـات الجيش الوطني والذي تعـد أولى مهماته حماية أمن العـراق وصيانة وحدة البـلاد، فلقد أدى تشكيل نواته الأولـى من الميليشيات وتعدد ولاءاتـه إلى انعدام الإرادة الوطنيـة إضافـة إلى غيـاب الكفاءات العسكريـة الحقيقية وتولي قيادة هـذه القوات من قبـل ضباط ممن تعاونوا مع الاحتلال أو طـردوا سابقاً لأسباب أخلاقية ووظيفية أو ممن تـم تزويـر رتبهم العسكرية لصالح هذا الحزب أو ذاك فـي سياق ما بات يعرف بعمليات « دمـج الميليشيـات»، وإذا أخذنا بعين الاعتبـار غياب وحدة القيـادة والتدريب وانعدام كامـل للتجهيـزات والصنوف السانـدة، فإن هذه القـوات ليست مؤهلـة للنهوض بأعباء الملـف الأمني للعـراق وحماية سيادته واستقلاله المنتهكة أصـلاً بتواجد قوات الاحتلال الأمريكي.

وهنـا يأتـي التساؤل الكبير الـذي يطرح نفسه حـول كيفية تعامـل الحركة الوطنية العراقيـة و المقاومة الوطنية مع هذه القوات والتشكيـلات المتفرعة عنها والذي يتأرجح الإجابة عن هذا التساؤل عند الباحثين ما بين الترميم والترقيع والتسريح والتحييد.

فهـل يتم تصنيف هذه القوات على أنها عـدواً، أم من الأفضل تحييدها والمخاطرة

obeikandl.com

بتلقي صفعاتها، أم هناك سلوك آخر يمكن اتباعه خدمة لأهداف الحركة الوطنية العراقية؟.

في الحالة الأولى سيتحقق هدف العدو بالكامل وستكون طبيعة المعركة والاقتتال عراقية – عراقية مما يصب في نفس مسعى الاحتلال، و إذا قلنا بالحل الثاني وحده نكون قد مكنا المحتل من إنفاذ مشيئته لجهة استعمال مواطنينا لحمايته، فهل هناك حل ثالث ؟

قبل الإجابة هنا يجب أن نطرح سؤال أساس : لماذا تطوع من تطوع في الجيش تحت الاحتلال؟ و لماذا قبل فيه ؟

قلة هي النسبة التي تكون قد دخلت إلى القوات الحكومية بقصد خدمة المحتل ضد وطنها و ضد مواطنيها، لكن الأغلبية الساحقة من الأفراد الذين ينضوون في القوات الحكومية تكون حاجتهم أو محدودية علمهم و اطلاعهم هي التي قادتهم إليه . و على هذا الأساس علينا أن لا نصنف جميع من يعمل مع القوات الحكومية على أنهم أعداء، ونتجه إلى وجهة أخرى هي اعتبار الكثير منهم مضللين يمكن العمل عليهم و توعيتهم و يمكن التعاون معهم و التنسيق الميداني معهم عند الاقتضاء بعد التوعية، لذلك فإنه ليس من الحكمة استعداء هذه القوات المحلية لأنها قد تكون في المستقبل من حصة الشعب و الحركة الوطنية وليس ضدها.

وتعتبر هذه المهمة من المسائل الشائكة والمعقدة التي تواجه الوطنيين في البلد المحتل و التي تعترض سبيل المقاومة في مهامها . لذلك ينبغي اتخاذ المواقف بما يخدم الهدف الأساس و هو التحرير و طرد المحتل، و عدم الوقوع في فخ أو شرك ينصبه المحتل عبر تحويل وجهة الصراع أو قتال البدلاء أو أكياس الرمل البشرية التي يتخذها المحتل لحمايته[1]. و على هذا الأساس يمكن أن تلجأ المقاومة في مواجهة القوات الحكومية المحلية التي ينظمها المحتل بالاعتماد على المبادئ التالية :

---

(1) الدكتور العميد أمين حطيط ،قواعد وأصول تعامل القوى المسلحة النظامية المحلية والمقاومة الشعبية في مواجهة الاحتلال، دراسة منشورة في موقع مركز دراسات الاستقلال www.istqlal-cnt.com.

لعل همها عدم اعتبار هذه القوات عدواً، و تجنب الاحتكاك معها ما أمكن[1]

و هـذا يكون فعل إرادة ذاتية تلتزمهـا المقاومة بالتعميم على عناصرها و تنشئتهم على أساس أن ليس جميع جنود القوات المحلية هم أعداء بل إن قسم كبير منهم مضللون ولم ينخرطوا في هذه القوات خدمة للمحتل بل قادتهم إلى صفوفه إغراءات أو سوء تقدير. فيتـم ابتداءً التوجيه المعنوي داخـل المقاومة حتى لا تحقن النفوس كراهية و حقد ضد هـذا القوات، حقد قد ينفجـر في الميدان فينتج الضحايا في صفـوف الفريقين و يفرح العدو الأساسي. و في الميدان، يكون على المقاومة أن تنتخب الأهداف التي تتجنب فيها مواقـع و مراكز القوات المحلية قدر الإمكان، و تمتنـع مطلقاً عن نصب الكمائن لعناصر هـذا القـوات، و تركز في عملياتها على العدو الحقيقي و هو الجيش الأجنبي المحتل . أما إذا وضعـت المقاومة في مواجهـة مع الجيش المحلي أثناء مداهمـة أو مطاردة يقوم بها هـذا الجيش لعناصر المقاومة و مراكزهـا (ينبغي أن لا يكون للمقاومـة مراكز ثابتة ولا يكـون لديها مـا يدل على عناصرها و أماكن تواجدها من مظاهر فنجاح المقاومة مقترن بالمحافظة على سريتها كياناً و عملياتياً) فإذا وجدت المقاومة نفسها في مأزق المواجهة مـع هـذا الجيش – المحلـي – فيكون عليها أن تتجنـب الاشتبـاك و أن تنسحب بأقصى سرعـة، و أن أقصى مـا يقبل منها هنا هو المواجهة النارية المحـدودة أو المشاغلة التي تمكنها من فك الطوق إذا طوقت والدفاع عن نفسها :

كما أن إدامة الاتصال والتواصل المدروس مع ضباط في القوات الحكومية لتنفيس الاحتقان بينهم، و العمل على توعيتهم ما أمكن ، وبهذا العدد تستطيع المقاومة أن تستعين ببعض القيادات والرموز العسكرية الوطنية المحلية للاتصال بعناصر من القوات المحلية و إبلاغهـم أنهم ليسوا عـدواً وأن معركة المقاومة ليست معهم فهم متضررون وطنياً من وجـود المحتل كضرر الآخرين من المواطنين بما فيهـم المقاومة . إن التوعية بالاتصال المباشر أو عبر الإعلام المدروس قد يمكن المقاومة من تحييد قسم مهم من هذه القوات

(1) فـي التجربـة الفييتنامية كثيراً ما أدى عمل الاتصال والإقناع داخل صفوف القـوات الحكومية إلى ما يشبه قواعد سلوك غيـر مكتوبـة، فهذه القوات الحكومية المحلية التي تجبر للدخول إلـى القرى والأرياف والتي تقع تحت سيطرة المقاومة تحمل أسلحتها على الأكتاف كدليل على نواياهم غير العدائية .

obeikandi.com

الحكومية.

علـى ضوء نتائج هذه المقدمات والاتصالات يمكـن تصنيف القوات الحكومية إلى ثلاثة أصناف[1]:

الصـنف الأول: قـوات بالإمـكان تحييدهـا و تستجيـب للاتصـالات وتتفاعل معها وتتفادى قدر الإمكان اعتبار المقاومة عدواً لها.

الصنف الثاني: قوات تقتنع بالعمل ضد الاحتلال وتستعيد دورها الوطني وهي فئة تقتنـع بعدالـة قضية المقاومة و تندفـع في اتجاهها، و هنا ننتظر مـن عناصر هذه الفئة مـن خلال التعاون التام إلى حد الانخراط فـي صفوف المقاومة إما عن طريق البقاء في القـوات الحكوميـة و مساعدة المقاومة و هذا أمر جيـد، أو الفرار من هذه القوات مع ما أمكـن مـن السلاح و الذخيرة و الانخراط في صفوف المقاومة و هذا أمر يجب الانتباه له و الحذر في التعامل معه و إن كان في ظاهره أمر مهم[2].

---

(1) . اعتبـر قـادة حركة التحرير الوطنـي الفييتنامية أن اعتماد خـط سياسي صحيح وواضح كفيل بدفـع الناس إلى تبديل معسكرهـم. فهـم يعتبرون غالبية جنود الجيـش السايغوني العميل وقعـوا ضحية الظروف ولا يمكن اعتبارهـم أعداء ، لذلك سمحـوا للضباط والجنود العاملين في جيش سايغون أن يـزوروا قراهم الواقعة في المناطق الخاضعة لسيطرة جبهة التحرير وخاصـة فـي إجازاتهم ومناسبات عيـد الميلاد ليتأكدوا من أوضاع عوائلهم . وقد أدى نشـاط الاتصال والإقناع داخل الجيش الحكومي إلى ضمان تحييد أو تعاون أو هروب 160 ألف جندي وضابط من مجموع الجيش السايغوني البالغ 700 ألف.

(2) خـلال سنيـن الاحتلال الأمريكي رغـم انخراط كثير من العراقيين في القوات الحكوميـة تحت إشراف قوات الاحتلال، إلا أن هنـاك سجـلاً مشرفـاً لعدد كبير من الجنود العراقيين الذيـن لم يتحملوا إهانة الاحتلال وانتهاكاتـه بحق أبناء الشعب العراقـي فقامـوا بتنفيـذ عمليات مباشرة ضد هذه القوات، وفي ما يلي بعض هذه العمليـات على سبيل المثال لا الحصر : في تمـوز 2007 فتـح الجندي العراقي قيصـر سعدي الجبوري النار على جنـود أمريكيين كانوا معه في نفس الدورية في مدينة الموصل، بعد أن شاهدهم يضربون امرأة عراقية حامل وهي تستغيث، فاعتلى أحد العربات العسكرية القريبة منه فقتل ثلاثة أحدهـم برتبـة نقيب وجرح أربعـة منهم . في حزيران 2008 أطلق أحد أعضاء المجلس البلدي في مدينة سلمان باك جنوب بغداد النار على جنود أمريكيين أثناء احتفال مشترك مما أدى إلى مقتل ثلاثة وإصابة أربعة، وفي تشرين الأول من نفس العام فتـح جنـدي عراقي آخر في الفلوجة النار على جنود من المارينز الأمريكيين عندما شاهدهم يتحرشون بفتاة عراقية عمرها 17 سنـة عنـد مداهمة منزلها، فقتل أربعة منهم . وشهد عام 2009 قيام ضابطا شرطة عراقيين بإطلاق النار على جنود أمريكيـين فقتـلا جندي أمريكي، وفي أيلـول 2010 قام الجندي العراقي الكردي سوران رحمـن، صالح بفتح النار على جنود أمريكيـين داخـل قاعدة عسكرية قرب (طوز خور ماتو) في محافظـة صلاح الدين فقتل جنديين أمريكيين وجرح تسعة . وفي كانـون الثانـي 2011 فتح جنديان عراقيان النار على جنود أمريكيين أثناء التدريب في معسكر الغزلاني جنوب الموصل فقتلا اثنان من الجنود وجرحا ثلاثة .

obeikandl.com

الصنف الثالث: قوات حكومية تعتبر نفسها امتداداً وجزءًا لا يتجزأ من قوات الاحتلال وهذه الفئة **تمعن في ارتباطها بالعدو** وهم عادة قلة منحرفة، و تتشدد ضد المقاومة وتسيء معاملة الشعب، هذه الفئة الساقطة وطنياً و تعتبر الفئة الأخطر في القوات المحلية، و ينبغي التعامل معها في حدود تأديبها و منع أضرارها . و يجب تضييق دائرة هؤلاء ما أمكن خشية الإنحراف عن الهدف الأساس . و يجب أن يركز في المواجهة دائماً على تجنب القتال مع مجموعات، أو وحدات كاملة من القوات المحلية لأن أي جماعة أو وحدة يمكن أن تتضمن من العناصر أشخاص لا يضمرون للشعب و المقاومة عداء، أي يكونون من إحدى الفئتين الأولى و الثانية[1] .

إن الإعلام الذكي، و الاتصال المركز، يمكن في كثير من الحالات حمل بعض الوحدات على رفض القيام بمهمة ما أو على الأقل القيام بها بصورة شكلية لا تؤدي إلى تحقيق هدف المحتل. كما يمنعها أو يحد من شراستها في القتال أو انفكاكها عنه قبل الوصول إلى النتيجة التي يطلبها المحتل. لذلك ينبغي وضع ذلك في اهتمامات المقاومة و العمل على تنميتها .

(1) الدكتور العميد أمين محمد حطيط، نفس المصدر السابق.

obeikandl.com

7. المقاومة العراقية وبوابة العلاقات الخارجية

تتسم قضية العراق بصفة العالمية فهي ليست شأناً محلياً أو إقليمياً لأنه من الواضح أن آثار ونتائج الصراع الدائر في العراق وما سيتمخض عنه سيترك أثراً على تراتبية القوة في النظام السياسي الدولي، ويعزز من ذلك الموقع الجيو ستراتيجي واحتياطي العراق الهائل من البترول الذي يتجاوز 350 مليار برميل ليشكل بؤرة ومولد لاستمرار الصراع، وعلى كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية؛ و ستترتب على ضوء نتائجه توازنات القوة ليس في المنطقة فحسب بل في التوازنات القادمة في النظام السياسي الدولي برمَّته، فالولايات المتحدة الأمريكية وهي القطب الأوحد في العالم غزت العراق لأهداف تتعلق بالتنافس والصراع وضمان بقاء القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً، فوجودها العسكري المباشر والتحكم بأكبر احتياطي للنفط يأتي في سياق قطع الطريق على الأقطاب الدولية الصاعدة التي تنافسها على قمة هرم النظام السياسي الدولي وفي مقدمتها الصين والاتحاد الأوروبي، وهذا ما دفعها لوضع اليد وبالقوة العسكرية وخارج الشرعية الدولية على أكبر احتياطي للنفط وأهم عصب للطاقة ذلك الذي يتربع على خزينه العراق.

وعند دراسة وتحليل الأقطاب الدولية وتصنيفها على معيار مثلث القوة الاقتصادي والعسكري والتكنولوجي، يتضح أن الولايات المتحدة تسير في بداية انحسار مكانتها العالمية، وسوف يزاحمها قطبين دوليين على قمة هرم النظام السياسي الدولي خلال النصف الأول من القرن الحادي والعشرين، الاتحاد الأوروبي وهو في طريقه لاستكمال مقومات الوحدة، والصين بقوتها العسكرية وانفجارها الصناعي والاقتصادي والتكنولوجي، والأخطر من ذلك عقيدتها السياسية المضادة للولايات المتحدة. وكلما نضب النفط كسلعة إستراتيجية والذي يشكل عصب الطاقة في تنافس هذه الأقطاب كلما زادت مساحة أهمية العراق في حسابات هذه الأقطاب في سياق تنافسها أو صراعها مع

obeikandl.com

الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أن تجارب الشعوب في مقاومة العدوان والاحتلال تشير إلى أن أهمية كسب تعاطف الرأي العام العالمي لا تقل عن أهمية كسب الرأي العام الداخلي والحاضنة الشعبية، وهذا ما تؤكده التجربة الجزائرية والفييتنامية والفلسطينية، بل إن أحد أهم الأسباب التي تقف خلف انتصار جبهة التحرير الوطنية الفييتنامية بعد عامل المقاومة المسلحة العسكري المتميز، هو تمكن الجناح السياسي للمقاومة من نقل المعركة إلى عقر دار الدولة الغازية، فالحجم الحقيقي للخسائر الأمريكية وبشاعة المجازر المرتكبة ضد الأبرياء قاد إلى مظاهرات عنيفة للشعب الأمريكي ضد الحرب مما شكل ضغطاً متزايداً على الإدارة الأمريكية لإنهاء الحرب، وتتوجت بالإطاحة بالرئيس جونسون والاضطرار إلى طلب التفاوض مع المقاومة الفييتنامية في باريس، إن أهمية هذا الجانب تكمن في طبيعة الأنظمة السياسية في الغرب عموماً وفي الولايات المتحدة خصوصاً، حيث تتيح الأنظمة الليبرالية لمواطنيها قدراً أكبر من الحرية الفردية السياسية والاجتماعية، سواء للتظاهر والاحتجاج المباشر أو التأثير والضغط على الحكومات من خلال الأحزاب السياسية و منظمات المجتمع المدني التي تحظى بأهمية استثنائية، ويتضاعف هذا التأثير والضغط في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يتعلق الأمر بتمويل الحرب نفسها والتي تمول عادة من دافعي الضرائب أي المواطنين، وبالتالي فإن قدرة الإدارة على ضمان الرأي العام، الأمريكي يشكل عامل ضمان حيوي لاستمرار تدفق ميزانية الحرب، مما يدفع هذه الإدارات غالباً إلى ممارسة أقصى قدر من الخداع و التضليل والإعماء للرأي العام، بغية عزله عن حقيقة الذرائع والدوافع التي شنت من أجلها الحرب، لتحقيق مطامع لا علاقة لها بمصالح هذه الشعوب أو النتائج الكارثية والكلفة الباهظة المادية والبشرية والمعنوية التي تتحملها هذه الشعوب وتخلفها هذه الحروب.

ولا تقتصر أهمية السعي لكسب الرأي العام العالمي على التعاطف الشعبي بل تتعداها إلى انتزاع الشرعية القانونية طبقاً للقانون الدولي كحركة تحرر وطني طبقاً لميثاق الأمم المتحدة (المادة 51)، الأمر الذي يضع حكومات الاحتلال في مأزق وحرج

كبيـر، حيـث يشكل نجاح حـركات المقاومة فـي اقتحـام المحافل الدوليـة والمنظمات الإقليميـة والمؤتمرات والاعتراف بها بمثابة منازعة على شرعية الحكومات المحلية التي ينصبها المحتل.

لقـد تكفلـت الولايات المتحـدة طيلة حقبة الحـرب الباردة بقيادة شـؤون الغرب وأوروبـا المنهكـة جـراء ويلات حربيـن عالميتين من خـلال حلف الناتـو وتوفير المظلة النوويـة بحجة التهديـد السوفييتي، ولكن بعد انهيار المنظومـة السوفييتية وحلف وارشو انتفـت الحاجـة من الناحية العلمية للحمايـة الأمريكية، وأدركت الولايـات المتحدة بعد زوال الخطـر الشيوعـي أن أوروبا قد أصبحت أكثر استقلالية، لاسيما بعد تسارع خطوات توحيدهـا وتوسع دائرة أعضائها لتصل إلـى أكثر من 25 دولة وأنها ستكون منافس جدي لطموحاتهـا، فكان احتلالها لمنابع النفط في العـراق والخليج العربي. وإذا كانت أوروبا والعالم في حرب الخليج الأولى 1991 أكثر انضباطاً وانصياعاً لرغبات الولايات المتحدة كونها تتربع على هرم نظام دولي أحادي القطبية وفي حالته الصلبة، نجد أنها وبقية دول العالـم أصبحت أكثر تمرداً واستقلالية، مما دفـع الولايات المتحدة إلى غزو العراق عام 2003 خارج إطار الشرعية الدولية بعد أن عجزت عن إقناع الدول الكبرى وخاصة الصين وروسيـا وفرنسـا وألمانيا التي رفضت إعطاء أي غطاء لهـذا الغزو واعتبرته احتلالاً غير شرعي.

شـكل موقـف الشعوب الأوروبية ضد الاحتلال والغزو والعـدوان على العراق نقطة مضيئـة في تاريـخ هذه الشعـوب وفي وعيهـا المتقدم والفطـري المتضامن مـع الشعب العراقـي، بعيداً عن أحابيل السياسة ودهاليزها التي تخضع لاعتبارات أخرى كالمصالح والتحالفات وتوزيع المغانـم والصفقات، وشكل الرفض الشعبي الهائل من خلال ملايين المحتجين والمتظاهرين الرافضين للحرب ضغطاً متواصلاً؛ فحيدت كثيراً من حكومات هـذه الـدول لتمنعها مـن المشاركة في جريمة الغـزو، بل إن هذه الملاييـن الغاضبة قد تظاهـرت وعبرت عن غضبها فـي داخل عقر دار الدول التي قادت الغزو أو ساهمت فيه، فأسقطت وعاقبت كثيراً من هذه الحكومات وأطاحت بآخرين وتحاكم اليوم بعضهم ممن

obeikandl.com

غامـروا بحياة أبنائهـم وثروات أجيالهم، ومـن المتوقع فيما إذا تكشفـت بشاعة وحجم المجازر والجرائم التي ارتكبت بحق العراقيين أن يخضع المسؤولون الذين ارتكبوها إلى محاكمات دولية كمجرمي حرب من قبل شعوبهم قبل أن يحاكمهم العالم والعراقيين .

وفـي هذا الصـدد ثمة سؤال جوهري يرد عند التطلـع والتخطيط إلى كسر الطوق السياسـي والإعلامـي الذي تفرضـه الولايات المتحـدة الأمريكية وحلفائهـا على قضية العـراق عربياً وعالميـاً ونجحت فيه إلى حد بعيد، حيث لا يرشـح من قضية العراق اليوم علـى السطح سـوى التفجيرات الإرهابية في الأسواق والتي تحصـد الأبرياء، السؤال هو: هل إن المقاومة العراقية أنجزت ما عليها من مستلزمات النهوض بهذه المهمة والانطلاق لحمل قضية العراق خارجياً، وهل إن ملامح وحدود هذه القضية معلومة لديها لكي تعرض رسالتهـا أمام الشعـوب والمنظمات والدول، وهل لدى أطـراف الحركة الوطنية العراقية مؤسسات متخصصة وإستراتيجية واضحة المعالم في حقل علاقاتها الخارجية ؟

إن مؤشرات المرحلة السابقة في هذا المضمار تؤكد للأسف غير ذلك، فهناك شبه إهمال وتخبط في إدارة حقل وصفحة العلاقات الخارجية رغم أهميتها الإستراتيجية في الصراع مع الاحتلال بحجة وجود حصار، والأمر عدا ذلك لا يعدو مبادرات إما شخصية أو حزبية ضيقة.

إن المستلزمـات التالية لا تشكل سـوى إشارات أولية لابد منها لتسهيل عملية رسم خطة أكثر شمولية في حقل العلاقات الخارجية :

أولاً – فـي تجـارب المقاومـة الناجحـة، عادة ما يتوفـر شرط أساسـي في نجاح علاقاتهـا الخارجية يتعلق في أن الدول والمنظمـات لا تعترف إلا بحركات المقاومة التي ترتقـي إلى وصـف ومعايير حركات التحـرر الوطني، وتم إبلاغ الكثيـر من الشخصيات والأحـزاب الوطنية العراقية التـي زارت أوروبا بضرورة تشكيل جبهـة (Front) ، فالأمر عدا ذلك لا يعدو مبادرات إما شخصية أو حزبية ضيقة من قبل هذا الطرف أو ذاك حيث كثيـراً ما تنتهي تأثير مثل هذه المبادرات والنشاطـات بمجرد انتهاء اللقاءات والزيارات والمجامـلات، ويشكل هذا النوع من النشاطات تشتيتـاً للجهود وتضييعاً للإمكانات حيث

تفتقر إلى التواصل والعمل المؤسساتي طويل الأمد .

ثانياً - ينبغي التأسيس في حقل العلاقات للعلاقات الخارجية سواء مع الدول أو المنظمات عبر صياغة أهداف مشتركة وإستراتيجية يضعها متخصصون في هذا الحقل المهم وتستند على مسوغات ودراسات دورية للمتغيرات الدولية والإقليمية ووضع الخطط اللازمة لكيفية الاستفادة منها والنفاذ إلى ما بينها، وتأخذ بعين الاعتبار خصوصية ومصالح وسياسات كل دولة أو إقليم على حدة، والاستفادة في هذه الدراسات من خبرة سفراء العراق السابقين الذين خدموا في هذه الدول ويرتبطون بعلاقات حسنة مع المسؤولين فيها، وكذلك الجاليات العراقية المتواجدة وترتبط بعلاقات وثيقة مع منظمات المجتمع المدني، ويمكن لهذا الغرض توزيع هذه الاهتمامات على شكل دوائر : الدائرة العربية، دائرة تركيا وإيران، الصين وروسيا، أمريكا اللاتينية، الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة الأمريكية، ماليزيا وجنوب شرق آسيا مع التركيز على دائرتي الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.

ثالثاً – للتأثير في حكومات الاتحاد الأوروبي ينبغي الانتباه إلى معادلة تتحكم بعملية التأثير الفعال وآلية صنع القرار في هذه البلدان، فلكي تؤثر على حكومة ما في أوروبا عليك ابتداءً التأثير في الرأي العام والشعب الذي بإمكانه ممارسة التأثير والضغط ولكن عبر حلقة أخرى وهي منظمات المجتمع المدني(N.G.OS) التي تحظى في المجتمعات الغربية بأهمية استثنائية متزايدة كونها شريحة تتوسط ما بين الفرد من جهة والحكومة وممثلي البرلمان من جهة أخرى ولديها قدرة حقيقية وكافية على التأثير.

رابعاً– توخي الحذر في طبيعة وصيغة الخطاب السياسي الموجه، فالخطاب الديني قد يصلح لمخاطبة الجالية المسلمة في إسبانيا أو ماليزيا، ولكنه قطعاً لا يصلح في مخاطبة العقل الغربي والذهنية السياسية الليبرالية أو اليسارية في عقر دارها، بل قد يقود إلى نتائج عكسية في النظرة إلى قضية العراق ومستقبلها و في خضم الصراع والتنافس المحتدم ما بين تيارات اليمين واليسار في بعض هذه البلدان، والتلاعب في خلط المفاهيم ما بين الإرهاب والمقاومة وخصوصية العامل الديني والطائفي في

obeikandl.com

العـراق، ومحاولة كل طرف استثمار هذه القضيـة وتوظيفها لأغراض التنافس والفوز في الانتخابات .

خامساً – من المناسب أن يتخذ الخطاب السياسي نحو الغرب منحىً إنسانياً يتعلق بحقوق الإنسان، ومنحى آخر قانونياً يتعلق بالانتهاكات والجرائم ضد الإنسانية الخطيرة التي جرت بحق الشعب العراقـي، وكيفية إيجاد الوسائل والآليات الكفيلة بالتظلم الدولي وكذلـك التدمير الثقافي المتعلق بآثار العراق ومكتباته، وجرائم اغتيال العلماء والأطباء، وأخيـراً الجانب الاقتصادي المتعلـق بالنهب المنظم لثروات العـراق وفي مقدمتها أكبر احتياطي للنفط في العالم وعصب الطاقة في القرن الحادي والعشرين والذي يشكل ثروة إنسانيـة وليسـت عراقية فحسب، وتتعرض حاليـاً إلى النهب المنظم مـن قبل الشركات الأمريكية وتأثير ذلك على غلاء المعيشة والاقتصاد في أوروبا وتأثير ارتفاع أسعار النفط إلى خمسة أضعاف على أسعار الطاقة عموماً في أوروبا كنتيجة لاستمرار الاحتلال.

سادسـاً – ضـرورة التنسيق المسبـق للمعلومات التي يتضمنها الخطـاب السياسي الـذي تحمله الوفود، فقد حصـل في بعض الوفود الوطنية التي زارت أوروبا أن يشير فيها أحـد أعضاء هـذا الوفد أو ذاك فـي كلمته أو محاضرتـه على سبيل المثـال إلى أن عدد القتلى مـن المدنيين العراقيين جراء الغزو قد بلغ طبقـاً لدراسة جامعية أمريكية مليون قتيـل، فيتفاجـئ الحضور بعضو الوفد الثاني على نفس المنصة يذكر بأن عدد القتلى من المدنيين العراقيين قد بلغ ثلاثة ملايين طبقاً لمصادر صحية عراقية، والحقيقة أن هذا التناقض والمبالغة في الأرقـام دون الاستناد إلى الحقائـق والوثائق يضعف المصداقية وينمُّ عن عدم التنسيق.

سابعاً – تصدر مراكز الدراسات المتخصصة بالشأن العراقي المناهض للاحتلال علـى ندرتهـا الكثير مـن الدراسـات والتقارير المتخصصـة التي تعـرف بقضية العراق وإنجـازات المقاومـة العراقية ، ولكن من المؤسف أن تدور هـذه المعلومات والتقارير في دوائـر مغلقة لا تتجـاوز العراقيين المعنيين بالقضية أنفسهم فـي حين لا يصل منها إلى دوائر التأثير الخارجي إلا القليل، ويعود السبب إلى قلة الإمكانات وعدم وجود قناعة لدى

أصحاب القرار بأهمية وجدوى مثل هذا النشاط.

ثامناً – قيام مراكز الدراسات بمسوحات كاملة عن منظمات المجتمع المدني في دوائر العلاقات الخارجية المشار لها وتحديد تخصص وطبيعة عمل كل منظمة وطبيعة أهدافها ونشاطاتها واهتماماتها وكذلك عنوانها، إضافة إلى القيام بمسوحات للمنظمات الدولية وطبيعة أهدافها ونشاطاتها وتخصصها وكيفية الوصول إليها، بالإضافة إلى مراكز الدراسات المعنية والتي عادة ما تكون وظيفتها صياغة الخيارات وصنع القرار في السياسة الخارجية لهذه الدولة أو تلك .

تاسعاً – لغرض تأمين انسيابية في التحرك الخارجي من المهم تأسيس منظمات عراقية واجهية مختصة حقوقية وإنسانية وأخرى تتعلق بالطفولة والمرأة، وأخرى متخصصة بالثقافة والتعليم والآثار وحقوق السجناء، لكي يمكن التعامل معها من قبل أقرانها من منظمات المجتمع المدني في الغرب .

عاشراً – يعد إنشاء مكاتب سياسية متفرغة للعلاقات الخارجية من قبل أطراف الحركة الوطنية العراقية والاستعانة بمتخصصين لهذا الغرض وفتح قنوات للتواصل خارجياً سياسياً وثقافياً، استحقاقاً سياسياً ضرورياً، إلا أن الإشارة الأهم على طريق النجاح في هذا الحقل هو استمرارية التواصل، كما تمثل إمكانية فتح مكاتب للتمثيل لدى الدول أو المنظمات أقصى نجاح حتى ولو اتخذت هذه المكاتب في أول الأمر صفة وهيئة المنظمات الواجهية .

obeikandl.com

obeikandl.com

8 - تكامل المقاومة العربية والعلاقة مع حركات التحرر العالمية

في ظل تطورات النظام السياسي الدولي وتحولاته العميقة، وفي ظل تراجع وانحسار دور الوحدات السياسية لهذا النظام سواء كان على مستوى فاعلية الدول القطرية أو المنظمات الدولية، تبرز ظاهرة المقاومة كرديف لتمسك الشعوب بحقوقها وتعبيراً عن إرادتها الحرة .

إن المقاومة في القرن الحادي والعشرين ورغم تطابقها من حيث الجوهر مع حركات التحرر في النصف الثاني من القرن المنصرم، إلا أنها اليوم تتخذ أبعاداً ومفاهيماً أكثر شمولية واتساعاً من مجرد حصرها في الشق العسكري أو في مفهومها التقليدي في كونها حرب عصابات، أو اقتصارها فقط على مهمة طرد الأجنبي المحتل، فقد أصبحت اليوم بمثابة فن الشعوب في البقاء و إدارة الصراع والبناء في آنٍ واحد .

ويأتي الوطن العربي من المحيط إلى الخليج على وجه التحديد ليشكل بؤرة الصراع العالمي والدولي وليكون في نفس الوقت مسرحاً للمقاومة والممانعة في القرن الحادي والعشرين، من خلال نماذج مشرفة لحركات المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان ضد الاحتلال المباشر وحركات المقاومة المدنية التي اجتاحت المنطقة العربية للمطالبة بحقوقها المشروعة.

وفي الوقت الذي يشكل فيه الصراع والعدوان والاحتلال جوهر سياسة الدول العظمى والسمة الغالبة في طبيعة العلاقات الدولية القائمة على الاستغلال والظلم، وأمام ضعف وهشاشة دور الحكومات في حماية مصالح الشعوب وحقوقها المهدورة، فإن الكثير من الشعوب قد اتخذت من (المقاومة والممانعة) طريقاً لها وهذا المصطلح يعني الشعوب التي تقع تحت الاحتلال مباشرة وقد ينطبق على دولة أو حتى دول تؤمن بهذا المنهج وهذا الطريق لحفظ الحقوق.

ولكي ترتقي هذه المشاريع والتجارب إلى مستوى الخيار الإستراتيجي،عليها

obeikandl.com

معالجة جملة أمور فكرية وسياسية وحل بعض التناقضات، في مقدمتها تنسيق وتكامل عمل هذه المقاومات وتقليص المسافات وتجسير الفجوات لإحداث انتقالة نوعية على مستوى الفكر والوسائل والأهداف.

فليس من المتوقع أن يحصل تغيير إستراتيجي وحاد على مستوى منحنى الصراع من خلال المواجهات العسكرية لوحدها، وقد تكون هذه الانتصارات العسكرية بمثابة رافعة للمشروع النهضوي ولكنها أبداً لن تكون بديلاً عنه إذا لم تستكمل أجنحتها على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي على امتداد ساحة الوطن العربي من المحيط إلى الخليج العربي، ذلك لأن الفعل العسكري ليس فعالاً إلا بحدود نتائجه و تأثيره السياسي والنفسي.

وقبل أن نشرع بالمعوقات والمقترحات يمكن الإشارة إلى أن تكامل المقاومة الشعبية العربية لم يعد خياراً بل أصبح ضرورة للمشروع النهضوي العربي الحديث في ظل التحديات الدولية والإقليمية التي تهدد وجود وهوية وكيان العرب ككل دون استثناء.

من هنا تنبع أهمية تكامل المقاومة العربية فكراً وثقافة وممارسة لتشكل الأساس الذي لا غنى عنه عند التفكير في أي مشروع نهضوي عربي[1]. وفي أدناه بعض النقاط التي تمثل المعوقات التي تحول دون المضي في مشروع تكامل المقاومة العربية تليها مقترحات وتوصيات بهذا الصدد:

أولاً : التحديات الخارجية ويمكن تصنيفها :

- تهديدات دولية مباشرة كالاحتلال الأمريكي في العراق، وغير مباشرة كالهيمنة على الأنظمة الرسمية والتواجد العسكري في الجزيرة و الخليج العربي .
- التهديدات الإقليمية وتأتي في مقدمتها بؤرة العدوان على العرب والمسلمين وهي الكيان الصهيوني الغاصب.
- الحصار المادي والدبلوماسي والعسكري والإعلامي.

(1) ورقة مقدمة من د. خالد المعيني تحت نفس العنوان إلى المؤتمر الثالث للتجمع الوطني لدعم خيار المقاومة المنعقد في بيروت ، شباط 2010.

obeikandl.com

ثانياً: عوامل القصور الذاتية

- غياب التنسيق والتكامل بين مشاريع المقاومة واختلاف قاموس المفاهيم والمصطلحات لديها.

- عدم وضوح الأهداف والأفكار وحيز حدود هذه الأهداف التي تتراوح ما بين محلية ضيقة أو أممية أو طائفية.

- الافتقار إلى الحاضنة الشعبية ودعم البيئة المحلية وتفاوت الإجماع السياسي المحلي على خيار المقاومة.

- وجود انقسامات داخلية وعدم تبلور المقاومة بشكل متكامل داخل ساحاتها.

- الانغلاق و عدم معرفة الآخر (بقية المقاومات العربية) بشكل كامل والذي كثيراً ما يؤدي إلى الجهل به والخوف منه.

- موقف النظام الرسمي العربي، ولغاية اليوم من غير المعروف هل تسير مشاريع المقاومة للاصطدام بهذه الأنظمة أم إلى التفاهم والتنسيق والاحتواء.

- غياب مرجعية عربية رسمية واضحة تتبنى تجارب المقاومة العربية.

- حصار داخلي تفرضه المقاومات على بعضها من خلال الحصار الإعلامي لبعضها البعض، وتجاهل إنجازات المقاومة العربية في الساحات الأخرى.

- ضعف التنسيق الموحد مع الموقف الدولي وحركات التحرر العالمية.

- عدم اكتمال الرؤى السياسية والبرامج الوطنية والمراوحة في حدود الفعل والإنجازات العسكرية التي لا تشكل عاملاً حاسماً في طبيعة الصراعات الكبرى والشاملة.

- اختلاف وجهات النظر في عملية ترتيب أولويات المخاطر والتهديدات التي تهدد الأمن القومي العربي، فعلى الرغم من أن هناك اتفاقاً كاملاً على مستوى العدو الرئيس وهو أمريكا والكيان الصهيوني، فثمة تباين في الرؤى حول تقييم بقية أنماط التدخل والنفوذ الأجنبي والإقليمي.

obeikandl.com

المقترحات والتوصيات

- السعي من خلال عمل النخب الفكرية والسياسية ومراكز الدراسات على توحيد فكرة المقاومة والخطاب السياسي وتحديد الأهداف السياسية وإخراجها من مفهومها الضيق والمحلي إلى مفهومها الواسع ليستوعب مجالها العربي الأرحب، وتبني هذا النهج بمحتواه الجديد كخيار إستراتيجي للشباب العربي ليس في العراق ولبنان وفلسطين، بل للشباب العربي برمته الذي أسفر عن حيوية ونشاط وطاقات جبارة يجب أن ترتقي إلى مستوى الأهداف الإستراتيجية للمشروع العربي وأن لا تقصر على مطالب إصلاحية خفيفة.

- تبادل الوفود والوثائق واللقاءات الدورية من قبل متخصصين يمثلون هذه المقاومات وذلك لإزالة الشكوك واللبس والتشويه وحل التناقضات وإدارة اختلافاتنا بطريقة واعية للحيلولة دون وصولها إلى حد الخلاف.

- تشكيل لجنة مختصة من الباحثين لدراسة المشتركات ما بين مشاريع المقاومة الفلسطينية واللبنانية والعراقية (وحدة العدو/وحدة الهدف/ الترابط الجغرافي ووحدة المصير/ عدالة القضية...).

- السعي بربط منظومة الأمن القومي العربي بالمقاومة، فعجز الكثير من الجيوش العربية بات شبه مؤكد في مواجهة التحديات واللحاق بالتطورات التكنولوجية نتيجة تفاوت القدرات، مما يرتب حاجة ماسة لمفهوم مختلط جديد للعقيدة العسكرية العربية القتالية في القرن الحادي والعشرين. لأن ذلك كفيل بتأمين متطلبات الأمن الوطني والأمن القومي العربي وتحقيق نوع من التوازن والردع المحدود، ومثل هذه الأنماط من العقائد العسكرية تستجيب لمتطلبات الحرب غير المتماثلة (A symmetrical war).

السعي إلى تشكيل مرجعية عربية رسمية واضحة تتبنى نهج المقاومة قولاً وسلوكاً، وتكون حاضنة لهذه المقاومة على الأقل في شقها السياسي وتقديم الدعم اللازم لها، لاسيما فشل وعجز النظام الرسمي العربي ممثلاً بجامعة الدول العربية عن الإيفاء بالحراك الشعبي وتوجهاته وإرادته.

obeikandl.com

9 - المقاومة المدنية وشرط استعادة الحاضنة الشعبية

تشير معظم تجارب الشعوب في المقاومة إلى أهمية الحاضنة الشعبية والمقاومة المدنيـة كشرط أساسي لبقـاء وديمومة حركات المقاومة الوطنيـة، وتكاد هذه التجارب تتفـق جميعاً رغم خصوصية كل تجربة منها على مسلَّمة واحدة تتلخص في تلك المعادلة والعلاقـة الطرديـة ما بين تصاعـد المقاومة من جهة وبين سلامـة نسيجها الشعبي من جهة أخرى، فالحاضنة الشعبية قبضة السيف بدونها يكون السيف بلا فائدة[1].

وتعد إدارة الصفحة الاجتماعية في الصراعات الكبرى أمراً لا يقل تعقيداً وأهمية عـن إدارة بقية الصفحات السياسيـة والعسكرية والإعلامية، على الرغم من تداخل هذه الصفحات وتشابكها مع بعضها بعضاً.

و تكمن أهمية هذه الصفحة في معادلة توازن القوى ما بين المقاومة والاحتلال في سبـاق كل منهما على ترجيح كفة الشعب لصالحه، فالشعب هو العنصر الحاسم في هذا الميـزان، والشعب كحاضنة للمقاومة سـلاح ذو حدين لا يمكن تركه، لذا نرى كلا طرفي الصراع يجتهد في إعـداد إستراتيجية خاصة لضمان كسب هذا العنصر الفعال، أو على الأقـل تحييده وربما إخراجه مـن معادلة القوة، ويسعى أي احتلال فـور إنجازه الصفحة العسكريـة مباشرة ليقوم بإنجاز الصفحـة الاجتماعية بغية ضمان فك الحصار والعزلة التي تواجهها قواته بعد دخولها البلاد عنوة، فيحاول النفاذ من أية ثغرات عرقية أو طائفية أو عقد تاريخية لتفجير النسيج الاجتماعي من الداخل وتأليب السكان على بعضهم بعضاً بـزرع الشكوك والمخاوف أو تعظيمها، أو من خلال تقديم وعود زائفة بالاستقلال الذاتي والحريـة، الهدف من ذلك جمع أكبـر عدد من الأنصار الموالين وتشكيل وحدات مسلحة خفيفـة لتحويل طبيعـة الصراع إلى نمط من الحـرب الأهلية التي تحقق لـه فك العزلة،

(1) يشبه «ماو تسي تونغ» قائد انتصارات المقاومة الصينية، العلاقة بين الشعب والمقاومة كما يلي: (إن رجال المقاومة هم كالأسماك، والبحر الذي يتكاثرون فيه هو الشعب، وبدون البحر لا تستطيع هذه الأسماك أن تسبح) .

obeikandl.com

وتتيح له قدراً أكبر من هامش المناورة والسيطرة وتخفيف الكلفة . ففي حين تصبح قوات الاحتلال وآلته العسكريـة العمود الفقري لدعم القوات المحلية حديثة التشكيل والموالية لـه، فإنه يسعى ابتداءً إلى تأمين منطقة كاملة تحت التهدئة النسبية، حيث يسيطر فيها الاحتلال مع حلفائه ويحاصر المناطق الأخرى المناوئة والرافضة للاحتلال، وعلى حدود هاتيـن المنطقتين يقـود الاحتلال ما يشبه حرب عصابات لضمـان زيادة اتساع الفجوة الشعبيـة، وتبرز هنـا النظرية التقليدية « فـرق تسد» شبه قاعدة ثابتـة في كافة تجارب استعمار الشعوب واحتلالها على مر التاريخ .

يهـدف الاحتـلال إلى توسيع المنطقـة المهدأة لصالحه تدريجيـاً كبقعة الزيت، وتتضافر في ذلك عدة عوامل لعل في مقدمتها كثرة الجواسيس وشتى أنواع الدعاية التي يمارسها الاحتلال عبر الترهيب أو الترغيب وشراء الذمم والدعاية السوداء لخلط جرائم الإرهـاب والاعتداءات على السكان المدنيين وخلطها بعمـل المقاومة، وبث سموم اليأس والعجز والإحباط في نفوس الضعفاء والسعي لإقناعهم بعدم جدوى هذه المقاومة، وعادة مـا يساعـد على ذلك التعب والإجهاد الـذي ينال السكان نتيجة تقـادم الزمن، وقد يعزز مـن ذلك عدم وجـود خطة محكمة للحفاظ على معنويات الحاضنـة الشعبية وقلة تجربة المقاومـة وعـدم خبرتها في كيفيـة إدارة صفحة الصراع الاجتماعيـة، مقارنة بالطرف الثانـي المتمثل في معسكر الاحتـلال الذي توضع تحت تصرفه إمكانـات الدولة المحتلة والاستعانة بعمقها وقدراتها المادية والمؤسساتية لإدارة دفة هذا النوع من الصراع الذي يختلف من حيث طبيعته وأدواته عن طبيعة الصراع العسكرية والسياسية.

هـذا ما تحاول إدارة أي نموذج للاحتـلال تحقيقه بإصرار وبشتى الوسائل بهدف عـزل حركـة المقاومة عن محيطهـا، وفي حال نجاح محـاولات الاحتلال فإنـه يكون قد أصـاب مقتلاً في المقاومة وحقق إنجـازاً لا يمكن الاستهانة به، فالشعب هو المعين الذي لا ينضـب لموجات المتطوعيـن والمناصرين ذوي المعنويات العاليـة، وهو المجال الذي تذوب المقاومة وتختفي هي وسلاحها فيه عند الحاجة وتتحول من خلاله إلى شبح يقضُّ مضاجـع الاحتلال الـذي يتراءى له كافة أفـراد الشعب كمقاومين فيصبـح العدو كالثور

obeikandl.com

الهائـج مغمض العينين، كمـا إن الشعب هو الممـول الرئيس لديمومة حيـاة المقاومين ومعيشتهم، والأخطر من ذلك كله أنه يمثل الساتر الأمني والاستخباري المتقدم وصمام الأمان الحاسم في حرية حركة المقاومة وفعالياتها .

بالمقابـل لا توجـد حركـة مقاومة إلا وتعـي بالتجربة خطورة الحاضنـة الشعبية، ففـي كل الأحـوال لا يمكن لأي مقاومـة إلا أن تنبثق مـن رحم إرادة الشعـوب، ولكن هذا الوعـي يصطدم عادة بإرادة معادية وهي إرادة الاحتلال وسعيه الدؤوب لتخريب العلاقة مـا بين الشعـب ومقاومته، كما يتفاوت هذا الوعي بين تجربـة وأخرى فقد يأتي في بعض التجـارب نتيجة لطبيعة وخصوصية انطلاقها وعياً تلقائياً أو عفوياً غير مدروس، ويفتقر إلى الترابط مع بقية عناصر الصراع النفسية والعسكرية والسياسية ولا يستند إلى تحليل سياسـي دقيق لغرض تحديـد التيارات والاتجاهات النفسية واتجـاه تطورها، إضافة إلى عناصـر أخرى قد تساهم فـي التأثير سلباً على تماسك الحاضنـة الشعبية فأحياناً يأتي تشرذم فصائل المقاومة لينعكس بـدوره على تشرذم القاعدة الشعبية وتشتيت ولاءاتها، وهـذا موضوع آخـر سيتم التطرق إليـه لاحقاً يتعلـق بأهمية تبلور قيـادة مركزية لقيادة حركات مقاومة الشعوب وخاصة في المضمار السياسي ووحدة الأهداف .

يرد تساؤل نظري من خلال دراسة تجارب الشعوب في هذا السياق، مفاده هل سبق لتجربة مقاومة ما، ناجحة ومنتصرة، أن خسرت وفقدت حاضنتها بالكامل وكيف تمكنت مـن استعادتهـا ؟ الجواب ابتداءً يكمن في تلك الحتميـة التاريخية لانتصار الشعوب على الاحتـلال مهما طال الزمان، ولكـن الخصوصية والتفرد تكمن في تقليص عمر الاحتلال أو إطالتـه، وذلك يعتمد بالتأكيد على عدة عناصر مترابطة تشكل بمجملها جوهر مفهوم الصراع الذي يمكن تلخيصه بعبارة واحدة وهي أن الصراع عبارة عن تنازع للإرادات ما بين الشعوب وقواها الحية من جهة وبين الاحتلال وعدوانيته وحلفائه من جهة أخرى.

يتحدث أحد قادة مقاومة الشعب الفييتنامي بهذا الخصوص فيذكر بأنه (جاءت بعض السنين لم يكن مرحباً بنا قط في الوسط الشعبي، فكثرة الجواسيس، وعدم وجود خـط سياسـي واضح لمطالبنا كان يحرجنا كثيراً ويحد مـن أي تجاوب شعبي معنا)، ثم

يـردف في مكان آخر أنه (في عـام 1959 منعت الحكومة الموالية للاحتلال الأمريكي في فييتنـام المقاومـة الوطنية الفييتنامية مـن أي اتصال بالشعب من خـلال إصدار قانوناً ملصقاً في كل مكان ومكتوباً بأحرف كبيرة، فكل من يشتبه بميله إلى المقاومة أو يعارض الحكومة كان يسجن، هذا القانون كان يهدد بالموت أو الحبس طوال العمر كل من يعارض الحكومـة طبقـاً لقانـون (10 / 59)[1]، كان القمع يـدار في درجاته القصـوى بواسطة التنظيمات السرية والبوليس السري، أما على المستوى الاجتماعي، كانت خلايا التجسس بمعـدل خلية لـكل خمس أو ست عائلات مع وجـود مسؤول يسجـل تحركاتهم وخطواتهم وزياراتهم وأحاديثهم .

ابتـداءً يجدر بنـا القول إن المقاومـة عندما تخسر حاضنتهـا الشعبية فليس من السهولة استعادتها لأن ذلك عادة ما يقترن بمصاعب جمة تتعلق بالعامل النفسي وكيفية التغلـب على عوامل الشـك والريبة المتراكمة نتيجـة التجارب السابقـة واستعادة الثقة، فالشعب كالأرض إذا ما أهملت قد تتعب وتقل كفاءتها وتصعب زراعتها من جديد، ما لم تبذل جهود حثيثة وطويلة لإصلاحها وحرثها وتهيئتها قبل بذرها مرة أخرى .

وهنـا يـرد سؤال آخر، لا يتعلـق بتجربة مقاومة ما فقدت حاضنتهـا، وإنما يتعلق بكيفيـة استعادة هـذه المقاومة لحاضنتها مـرة ثانية والتمكن من تعبئتهـا وقيادتها نحو

---

(1) ليس من قبيل المصادفة أن يصدر في العراق بعد احتلاله من قبل القوات الأمريكية عام 2003، قانوناً يشبه من حيث الشـكل والمضمـون قانون (59/10) في فييتنام، فالقانون الذي بات شائعاً اليوم فـي العراق تحت اسم (قانون 4 / إرهاب) ويقصد به قانون مكافحة الإرهاب المرقم (13) لسنة 2005.

وفـي الوقـت الذي لـم يصدر فيه لغاية الآن فـي المجتمع الدولي أي تعريـف متفق عليه لمفهوم الإرهـاب، بعكس المقاومة كمفهـوم محـدد ومعرف طبقاً للقانون الدولي والذي تنص عليه الاتفاقيـة العربية لمكافحة الإرهاب وتعديله رقم (35) لسنة 2008 حيـث ينصـ في مادته الثانية على إباحة الكفاح بمختلف الوسائـل بما فيه ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي، فـإن القانـون العراقـي (4 / إرهاب) وفـي المادة الأولى منه يعرف الإرهاب بطريقة غامضـة وعلى نفس منوال ما جرى في فييتنـام، فجـاءت بنوده لتحكم بالإعـدام والحبس مدى الحياة لكل من (ارتكب ، حرض ،خطط ، مـول ، مكن) عملاً إرهابياً ويحكـم بالسجـن المؤبـد كل من (أخفى ،آوى ، تستـر) على شخصاً إرهابيـاً، وإذا ما أضيفت إليه آليـة المخبر السري، فإن المستهدف الأول والأخير من هذا القانون بكل تأكيد هو المقاومة الوطنية وكل الرافضين لمشروع الاحتلال، وليس الإرهابيين الذيـن يسرحـون بكل حرية في ظل الاحتلال، والخلط بين المفهومين مقصود لحماية قوات الاحتلال الأمريكية . بل إن قانون حكومة الاحتلال تجاوز ذلك فتعتبر أن المقاومة عملاً مخلاً بالشرف .

obeikandl.com

النصـر النهائـي، وما هـي القواعد والمفاتيـح الرئيسة التـي تتمكن فيهـا المقاومة من الحفاظ على محيطها وبيئتها الاجتماعية والشعبية؟

إن هذا الأمر بلا شك على درجة كبيرة من التعقيد والخطورة بحيث لا يمكن لجهة وحدها أن تدعي الإيفاء بمتطلباتها سواء كانت عسكرية أو دينية أو سياسية، فالعملية نتاج وحصيلـة لجهود كافة هذه الأطراف ولكن عبـر خطة منهجية وموضوعية تنفذ على شكل مراحـل لا تقوم علـى العفوية وأسلوب رد الفعل، فكل عمل في هذا السياق يجب أن يخضع لتشخيص سياسي ملائم، يستطلع خصوصية الميول والمزاج العام لكل منطقة من خلال التحليل الاجتماعي والاقتصادي قبل أن يتم تصميم أية تصورات للعمل السياسي وتنظيم القواعد السياسية التي تعتبر شرطاً أساسياً للقيام لاحقاً بأية عمليات عسكرية .

يوضح المخطط التالي مراحل رئيسة متدرجة لكيفية التحرك في الوسط الشعبي علمـاً أن هـذه المراحـل متداخلة وتتغير حدودها مـن منطقة إلى أخـرى طبقاً لكثير من العوامل الزمانية والمكانية:

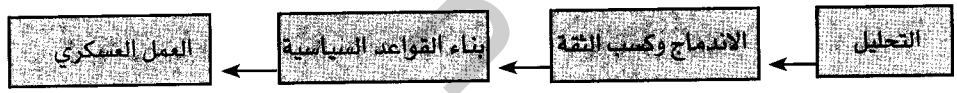

يعـد اللجوء إلى التحليل الدقيق لغرض تحديد التيارات والاتجاهات النفسية في المجتمع واحتمالات تطورها أمراً حاسماً لغرض ضمان مشروع ناجح للتحرك في الوسط الشعبـي ، فالطاقات الشعبية لا يمكن تعبئتها لإنجـاز مهام جسام، ما لم يتم أولاً توظيف الميول والاتجاهات النفسية التي تحكم هذه الطاقات .

وتستدعـي عمليـة التحليـل ابتـداءً، إقامـة مـا يشبـه الورش ومختبـرات للبحث الاجتماعـي والاقتصادي تعمل من خلال مسجات ميدانية للتعرف على الواقع بدقة، على أمـل التعشيـق مع هذا الواقع مـن جديد، والتنبـؤ والتحكم بمساراتـه المستقبلية، وعدم التفاجـئ مستقبلاً بعوامل اضطراب ومسارات ليست فـي الحسبان. ويتم على ضوء هذه الدراسـات والمتطلبات تصميم نوع وحجم الإستراتيجية الاجتماعية والأهداف التي يتم

المباشرة والتدرج بها.

إن النظريات الجاهزة في هذا المضمار لا يمكن لها أن تنجح، فلكل قرية أو مدينة أو منطقة خصوصيتها التي قد تختلف بنسبة معينة عن المنطقة المجاورة لها. وذلك نتيجة لاعتبارات تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ديموغرافية، لذا يجب عدم التسرع والمجازفة بتطبيق وتعميم نتائج تحليل ما، قد يكون ناجحاً في منطقة، لكنه ليس بالضرورة ينجح في منطقة أخرى. من هنا تأتي أهمية الاعتماد دورياً على نتائج التحليل لقياس توجهات الرأي العام ومزاجه وميوله والتعرف عن كثب على المتغيرات وسلم القيم التي غزته أو أثرت فيه بفعل منظومة الاحتلال الطارئة.

يشكل المجال النفسي معيناً لا ينضب من القوة القادرة على تقديم مصادر معنوية ومادية هائلة ومضاعفة، وهذه المصادر غير موجودة إلا في ثنايا الحاضنة الشعبية فهي خزان الطاقة، ولعل هذه الطاقة وهذا الاحتياط المضموم هو وحده كفيل بتعويض النقص والفجوة المادية للطرف الأضعف في معادلة القوى وتفاوت القدرات مابين المقاومة والاحتلال، وهو الضمانة الوحيدة لتعديل كفة المقاومة وترجيحها إذا ما أجيد تحصينها وتنميتها وكسب ثقتها.

فالشعب لا يقبل بالفطرة والغريزة العيش في ظل سيطرة الاحتلال وعدوانه، ويمثل هذا الرفض الطبيعي الأساس المتين لامتلاك «قضية عادلة» وهي الدعامة الرئيسة للمطاولة التي لا تلبث قوى المقاومة والممانعة من بلورتها على هيئة مشروع وخط سياسي واضح يعبر ويتبنى مطالب شعبية واضحة المعالم، عند ذلك تكتسب حركة المقاومة صفة المشروعية طبقاً للقانون الدولي، لأنها تعبر عن إرادة الشعب الذي يمثل السيادة ومصدر السلطات.

ويكمن المفتاح الأساسي للاندماج وكسب ثقة الناس في العمل الجاد والمخلص والدؤوب لامتلاك قلوب الناس البسطاء وعقولهم وتحريرها قبل مسك الأرض وتحريرها، وهو أمر غير معقد فالناس في معاناتهم لا يحتاجون ولا يتعلقون ويثقون إلا بمن يقف معهم في محنتهم يتحسس معاناتهم اليومية ويشاركهم نفس الهواء، وعندما يتم كسب

obeikandl.com

قلـوب الناس وعقولهم لن تتمكـن قوة الاحتلال مهما بلغ بطشها من زحزحة هؤلاء الناس عن الثقة بمن يعيش وسطهم ويتبنى قضاياهم الملحة ويساعدهم في حياتهم اليومية .

إن الشعـوب التـي تتعرض للاستبـداد الديكتاتوري، ثم ظلـم الاحتلال واضطهاد الميليشيـات، تكـون على طول هذا الخط قد قدمت بلا حـدود الكثير من التضحيات، ولا يلتفـت أحد إلى معاناتها، وكثيراً ما تفقد الثقة بأية طروحات نتيجة استهلاكها وتكرارها دون انعكاسـات إيجابيـة ملموسة. فـي وسط هذه المعاناة تتجلى أهـم مفاتيح الحاضنة الشعبية ، فبمجرد أن يتم عكس المعادلة بمعنى أن (المقاومة هي من يخدم الناس بدون مقابـل وتتفادى الأخذ منهم) فـإن هؤلاء الناس سيتحولون إلى خـزان ثورة، ويمكن هنا الإشارة إلى بعض من هذه المفاتيح :

أولاً - تقديم الخدمات لهم وتأمين حياتهم وحماية أرزاقهم، وعدم تحويل مناطقهم إلى مناطق إفقار ومدن أشباح .

ثانيـاً – رعاية عوائـل شهداء المقاومة، ومتابعة قضايـا الأسرى وإطلاق سراحهم بكافة الوسائل وتأمين علاج الجرحى وضمان معيشة المعوقين .

ثالثـاً - السعـي إلى رفع مستوى معيشة الفقـراء وتفقد أحوالهم دورياً والابتعاد عن ابتزازهـم والتعالـي عليهـم، وإشاعة وتثبيت واجـب تفقد المرضـى والمشاركة في مآتم وأفراح الناس .

رابعـاً– تخفيـف الحساسيات وحـل المنازعات قبـل أن تتطور من خـلال الوجهاء والمتخصصين وإشاعة روح التسامح والتواصل .

خامساً – العمل وفق مبدأ التكافل الاجتماعي وتأسيس جمعيات لهذا الغرض لإعانة المعوزين والمعدمين ورعاية عوائلهم .

سادساً – تدعيم وتأسيس مراكز صحية مجانية خاصة في القرى والأرياف البعيدة حتـى وإن كانـت على درجـة من البساطـة وتشجيـع المتطوعين من الأطبـاء والطبيبات الشباب للخدمة فيها تحت الوازع الإنساني أو الوطني أو الديني.

سابعاً - الاهتمام بقضية التعليم وحماية المدارس، والحرص على كوادرها وخاصة

obeikandl.com

الشابة وتشجيعهم على تطوير أنفسهم وبذل مزيد من الجهود، وتوفير كل ما يلزم لاستمرار وظيفتها التربوية الوطنية .

ثامناً – الاعتماد على نماذج مشرفة ومتعلمة من الوسط النسوي للإشراف على رعاية المرأة والمساعدة في حل مشاكلها وتقديم المشورة والنصح، ويجب عدم إغفال خطورة هذا القطاع لأنه يمثل نصف طاقة المجتمع والموجه والمربي للنصف الآخر.

ستكتشف المقاومة أن عواطف هؤلاء الناس البسطاء المتفجرة عبارة عن قوة نفسية هائلة من الممكن أن تتحول إذا ما أجيد تعبئتها وقيادتها إلى قوة جبارة تدفع مشروع المقاومة بمراحل متقدمة إلى الأمام .

لقد حرث رجال المقاومة الفييتنامية الأرض مع الفلاحين البسطاء لمساعدتهم، وكانت لديهم تعليمات صارمة من قياداتهم بعدم تقبل أي شيء منهم دون دفع ثمنه، فكانوا يكفون أنفسهم بأنفسهم، لذا حارب السكان إلى جانبهم، وحملوا طوعاً وقناعة كافة المساعدات الممكنة والمعقولة، ونقلوا التجهيزات وزودوا المقاومين بالماء والطعام، واعتنوا بالجرحى وساعدوا في تهيئة مراكز الهجوم وأخفوا المقاومين، وحفرت المقاومة الكمائن وزرعت العبوات ضد الجيش الأمريكي تحت أنظارهم، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا جهود مضنية وطويلة في كسب الحاضنة وبسبب عمل سياسي دؤوب ومدروس وخلاق .

إن روح المقاومة وفكرها لا يمكن أن تنبت أو تتجذر إلا في مناخ يتقبلها وبيئة مؤاتية وليست مجافية لها، ولكي تنطلق أية مقاومة وتضمن ديمومتها ومطاولتها، ينبغي أولاً التأكد من خلال الدراسة العميقة للميول والاتجاهات أن الشعب بات يراها ضرورة وحاجة ملحة لحل معاناته ووضع نهاية لمأساته، لأن شعباً يرفض مقاومته يعني أن هناك خللاً في هذه المقاومة وليس في الشعب، فالمقاومة عندما تنتصر في مكان ما ذلك يعني أن الشعب هو من انتصر وليس المقاومة ككيان مجتزأ، فهي جزء من هذا الشعب وهي إرادته الحية وليس العكس[1] .

قد ينجح الاحتلال في مراحل متقدمة كما حصل في تجربة الاحتلال الفرنسي

(1) العميد الركن الدكتور أمين محمد حطيط، الإستراتيجية الدفاعية، دار الهادي، بيروت، سنة 2006 ، ص: 100 .

obeikandl.com

لفييتنام في تقسيم البلاد إلى ثلاث مقاطعات، أو كما حصل لاحقاً عندما قسم الاحتلال الأمريكي فييتنام إلى دولتين شمالية وجنوبية وحرض سكان الجبال بعد أن خدعهم بوعود الاستقلال، ضد سكان السهول، ودأب على إثارة الشقاق بين الجماعات القبلية وحتى بين القبائل نفسها، وهكذا تقاتل البوذيون ضد الكاثوليك، ولم يكتف الفرنسيون بذلك بل قاموا بإنشاء ثلاث طوائف جديدة في المجتمع، تناوئ الطوائف الموجودة أصلاً، وتشجيع ومساعدة كل طائفة على تشكيل جيش خاص بها.

استخدم نفس التكتيك في الجزائر حيث قام الفرنسيون بتقسيم البلاد إلى مناطق معزولة (كانتونات)، وإثارة البربر ضد بقية السكان.

في العراق حاول الاحتلال الأمريكي في السنوات الأولى من عمره، بالترغيب أو الترهيب لاسيما بعد أن استشعر خطورة التصدي له في البداية بشكل موحد من تمزيق النسيج الاجتماعي الوطني وتقسيم البلاد على أساس المحاصصة الطائفية والعرقية إلى ثلاث مناطق، وتحفيز طوائف وأعراق جديدة للظهور تعميقاً للانقسام والتناحر و تأليب بعضها على البعض الآخر، و زراعة المخاوف وإيقاع الشكوك بين شرائح المجتمع العراقي، فأصبح أبناء كل مدينة أو محافظة لا يكترثون ولا يعرفون ما يجري في المدن أو المحافظات الأخرى .

في المقابل فإن إستراتيجية المقاومة تستدعي في الصفحة الاجتماعية السعي إلى مد الجسور وتقليص الفجوات بين أبناء الشعب الواحد وربط الشمال بالجنوب والوسط عبر فعاليات مدروسة ذات طابع اجتماعي ووطني، فقد ينجح الاحتلال في تجنيد قوات حكومية ومحلية موالية ومتحالفة معه، ولكن ما لا يجب أن تسمح به المقاومة في أي حال من الأحوال، أن يحظى هذا الاحتلال لفترة طويلة بدعم قطاعات معينة من الشعب، بعد خداعها وتخويفها والنفاذ من خلال ذلك لتمزيق النسيج الاجتماعي الوطني وتفجيره لصالح مشروع الاحتلال.

وعلى مستوى أداء الدور الاجتماعي يقع على عاتق شريحة الوجهاء وشيوخ العشائر وأمراء القبائل مسؤولية التصدي في هذا المضمار، وقيادة الجهود الحثيثة لرأب الصدع

obeikandl.com

والشـرخ الذي يسعى الاحتلال إلـى تعميقه والنفاذ من خلاله لإطالـة أمد تواجده، وعلى قيـادات المقاومـة أن تولي هـذه الشريحة اهتمامـاً واحتراماً خاصاً من خـلال استمالة أكبـر عدد منهـم وتحييدهم، ولنا أن نتذكر أن الرسولﷺ عندمـا دخل مكة فاتحاً أعطى «أبـا سفيـان» أرجحية خاصة لمكانتـه الاجتماعية في قومه رغم أنـه كان من أشد أعداء الإسـلام «كل مـن دخل بيت أبو سفيـان فهو آمن»، ويجب عدم خسـارة هذه الشريحة في كل الأحـوال لأن مـن شأن ذلك ظهـور نتائج عكسية وعواقب وخيمة فـي المجتمعات ذات الأغلبيـة العشائرية والقبلية، خاصة إذا ما ترك أمر التعامل مع هذه الشريحة والحاضنة الاجتماعيـة لأفـراد وشباب أحداث قليلـي الخبرة، يجهلون الأبعـاد النفسية وخصوصية العامل الاجتماعي وأبعاده ومدى أهميته .

إن هذه الشريحة في المناطق الريفية إذا ما تم تحصينها من الممكن أن تلعب دوراً محورياً كصمام أمان للوحـدة الوطنية وتماسك نسيجها الاجتماعي، والتخفيف من حدة الاحتقان والشحن الطائفـي والعرقي الذي يؤججه بعض السياسيين الطائفيين لأغراض خدمـة مشروع الاحتلال، كما يمكن لهذه الشريحة في ظل ظاهرة الاحتلال وغياب سلطة الدولـة من تصفية ومحاصرة آثار القتـولات الكثيرة التي تحصل جراء الفتنة والانفلات وحالـة الفوضى، وذلـك عبر آليات وعادات وأعراف وتقاليـد عميقة تعود جذورها لمئات السنيـن، هذه العادات والتقاليد التي تستقر عادة في الذاكرة الوطنية للشعوب وتعبر عن الوجدان الشعبي، تمثل خزين لا يمكن الاستغناء عنه في تمتين وتقوية النسيج الاجتماعي ويدخـل في هـذا الإطار ضرورة إشاعـة وتشجيع التراث الشعبـي و «الفولكلور»، وتأسيس منظومة قيم وطنية شعبية تحتقر منظومة القيم الطارئة وأدواتها في المجتمع التي يحاول من خلالها الاحتلال مسخ وتشويه هوية الشعوب .

مـن جهـة أخـرى يمثل العقـاب والتعسـف والترهيب مفردات تشـكل بمجموعها سلاحـاً خطيراً ذو حدين، يحاول كل من طرفـي الصراع، المقاومة والاحتلال، توظيفها بالاتجاه المعاكس فـي معادلة الشد والجذب بينهما لكسب الحاضنة الشعبية أو تحييدها علـى الأقـل، وتعد هذه الآليات من الخطورة والحساسية بمـكان بحيث يجب توخي الحذر

obeikandi.com

الشديد عند استخدامها، وأن لا تترك بيد المبتدئين أو المنفذين من دون الاستناد إلى دراسة معمقة وتحليل، إن قسوة الاحتلال وظلمه وانتهاكات حقوق الإنسان وتشريد المواطنين وقطع أرزاقهم تمثل أعظم محرك لروح الممانعة والمقاومة ،حيث نجد مقابل كل ضحية للاحتلال أو معتقل بريء ستكون هناك عائلة مقاومة تكره الاحتلال وترغب في الانتقام منه، وإذا كان الاحتلال يستخدم القوة العسكرية والقهر والقسوة والبطش والاعتقالات كأدوات للسيطرة والهيمنة على الشعوب وهي أدوات كثيراً ما تنتج ردود أفعال تعمل في صالح المقاومة، فإنه في المقابل لا تقل قضية تعامل المقاومة مع هذا الملف خطورة وتأثيراً في مقدار رضا وقبول الحاضنة الشعبية أو نفورها، فهناك فرق كبير بين أن يحب الناس المقاومة فيحترمونها عن قناعة ويرونها حاجة، وبين أن يخافون منها تحت الخوف والقسر.

إن المبالغة في إنزال العقوبات بالآخرين وابتزازهم تحت مختلف الذرائع في المناطق الخاضعة للمقاومة، سيؤدي بما لا يقبل الشك وبالتراكم إلى تنامي الشعور بالكره والرفض وعدم الارتياح في هذه المناطق، ويقلص من حجم التعاطف معها، وقد يحفز مع الزمن على تنامي مشاعر سلبية مكبوتة تهيأ فيما بعد لنوع من (الردة المضادة) ضد المقاومة، كما أن ردود أفعال المعاقبين قتلاً أو من خلال إقامة الحد بالجلد أو الإهانة على يد شباب أحداث وصبية ضد وجهاء القوم، سيكون له أسوأ العواقب وكثيراً ما تخلف مثل هذه العقوبات رغبة في الانتقام والثأر، وسيؤدي ذلك حتماً إلى نتائج نفسية سلبية قد يعبر عنها بأقرب فرصة سانحة بالتعاون مع الاحتلال، أو على الأقل تقديم المعلومات له عن تحركات المقاومة وقياداتها ومواقع مخازن سلاحها بهدف الانتقام والثأر مما يشكل خرقاً كبيراً في الحاضنة الشعبية.

وفي التاريخ الإسلامي لنا أن نستفيد من درس مهم وحيوي في هذا السياق، ونرى كيف تصرف الرسول محمدﷺ في مثل هذه الحالات: (كيف تصرف مع «ابن سلول» الذي أسهب القرآن في ذكر نفاقه وخذلانه للمسلمين في معركة أحد، وغير ذلك مما يستوجب أشد العقوبات على هذه الأفعال وفي مقدمتها القتل، فكان تصرف الرسولﷺ

إزاء إنـزال القصاص فيه الـذي كان يلح عليه الكثير من أصحابـه، أنّه قال: «لا، حتى لا تقول العرب إن محمداً يقتل أصحابه».

كذلـك نجـد فـي التجربـة الفييتنامية، حرصاً شديـداً من قيادتهـا على تفادي السمـاح أو التساهل فـي معاقبة المخالفين بمـا في ذلك الرافضين لنهـج المقاومة، بل حتـى الجواسيس إلا في الحالات القصوى وفـي أضيق الحدود ووفق ضوابط معقدة، فقد يعاقـب جاسوساً لإخافـة وتحييد مئة جاسوس، وكانت لا تبالغ فـي العقوبات وتعتبر دماء النـاس خطاً أحمر، فالأصل هو كسب ود الناس وقلوبهـم من خلال التضحية في سبيلهم وخدمتهـم والتسامح معهم، هذه المقاومة التي تُوج جهدها التحرري بالنصر المؤزر على الاحتلال الأمريكي نتيجة حكمة قيادتها وشدة انضباط أفرادها ووضوح خطها السياسي، أدركـت في وقت مبكـر أهمية الحفاظ على الحاضنة الشعبيـة، وكانت تعتبر عمل الإقناع والنصـح والتوجيـه لا يقل خطورة عن تأثير ونتائج العمل المسلـح، إلى الحد الذي كانت تسمح في بـادرة جديرة بالاهتمام والدراسة لضباط ومراتـب القوات الحكومية الموالية للاحتـلال بزيارة عوائلهم داخـل المناطق الخاضعـة لسيطرة المقاومـة عند الإجازات والأعياد كمواطنين، وتمكنت بفضل ذلك كما تشير المصادر الأمريكية من كسب وتحييد مـا يقارب (160 ألـف) عسكري، ما بين متعاون معها أو هـارب من الخدمة، حصل ذلك نتيجـة تأمين عوائل هؤلاء العسكريين وعدم الانتقام منهم، ونتيجة هذه المعاملة الحسنة التي تلقتها هذه العوائل، انعكس الأمر إيجابياً على نفوسهم وأبنائهم وفي طريقة تعاملهم ونظرتهم إلى المقاومة وأهدافها وسلوكياتها النبيلة.

لـذا تأتـي أهميـة التدقيق والتأني فـي انضمـام العديد من الأفـراد إلى صفوف المقاومـة، وخاصـة أولئك الذين يفتقرون إلـى الحد الأدنى من الوعـي السياسي أو على الأقل الأخلاقي لإدراك أهمية عمل المقاومة وأهدافها السياسية التي تكمن خلفها، فتفقد المقاومـة عندئذ أهم ميزة لها وهي ميزة قدرة المنـاورة بالنوعية القليلة المؤثرة مقابل العدد الكبير المترهل، كما أن هذه الأعداد غير الواعية وأحياناً النماذج السيئة والطاردة لا يمكـن ضمـان ولائها وعدم انقلابهـا على طول الخط، وقد تستدعـي الحاجة في بعض

obeikandl.com

المراحل الاستعانة بهذا النوع من الأفراد المقاتلين بمهام محددة على أن تكون حصراً في العمليات العسكرية ضد الاحتلال.

إن حقل التعامل مع الحاضنة الشعبية لا يحتمل أية مجازفات أو تجارب فاشلة، فالتعامل في الوسط الشعبي أمراً بالغ الخطورة والحساسية، ويتطلب الاستعانة بخيرة الشخصيات في المجتمع ليكونوا بمثابة سفراء للمقاومة يحظون بالاحترام والتقدير على أن يكونوا ممن يتصفون برقة المشاعر، ونقاء الضمائر، وصفاء القلوب، وبخلق رفيع، وطاقة في تحمل الآخرين، وتواضع جم . تتكامل هذه الشريحة من حيث النتائج مع بقية أنماط المقاومة ومنها العمل العسكري، ولكن لا توجد لها أي علاقة مباشرة بمظاهر العمل العسكري للمقاومة، وكلما كان العمل العسكري غير مرئي ومستتر بعيد عن مظاهر الاستعراض والظهور والتباهي كلما كان أكثر ردعاً وتهديداً وهيبة واحتراماً من قبل الحاضنة الشعبية .

إن كسب الحاضنة الشعبية وتحصينها تعد مقدمة لانبثاق مقاومة مدنية و شرطاً لا غنى عنه في التحضير للعمل السياسي وتبلور الخط السياسي الواضح، الذي يعد بدوره شرطاً لانطلاق العمل العسكري للمقاومة والذي يعتبر محصلة ونتيجة، وقد يحصل تداخل ما بين هذه المراحل أو تعاون وتبادل أدوار في بعض المراحل، إلا أن حصول أي خطأ في تسلسلها، قد ينتج عنه عملاً عسكرياً هنا أو عملاً سياسياً هناك، ولكنه حتماً لن يكون عملاً منظماً قائماً على الاستمرارية والمطاولة والنفس الطويل وهي أهم ركائز تحقيق النصر.

وكثيراً ما ينصرف الذهن في الأدبيات السياسية عند ذكر المقاومة إلى المقاومة المسلحة حصراً، في حين لا تتجاوز نسبة الذين يحملون السلاح في كافة تجارب الشعوب العالمية لمقاومة الاحتلال والعدوان عن 2 – 5 %، مما يعني أن أغلبية الشعب ينبغي أن يتم استيعابها في أنماط أخرى من المقاومة، وفي الوقت الذي تكون فيه الصفحة العسكرية من الاحتلال هي ربما الصفحة الأكثر وضوحاً في تبدلات الصراع وتنازع الإرادة ما بين الاحتلال والمقاومة، فتحديد خطر الاحتلال العسكري معروفة من حيث

حجـم التهديد وشكله ويمكن بسهولة تحديـد مكانه وزمانه، فإن الصراع الحقيقي يجري علـى مستويات عميقة ذات طبيعة مركبة ونفسية تتعلق بتنـازع الإرادات ما بين الاحتلال كمشـروع وبين المقاومة كمشـروع فنتائج الحروب والصراعات تتحـدد على ضوء صراع منظومـات القيم فيما بين المجتمعات، من هنا تنبع خطـورة الحاضنة الشعبية وضرورة كسبها وتحصينها كأساس للمقاومـة والمختبر الحقيقي الذي يترجم أنماطها السياسية والعسكريـة والمدنية، مع الأخذ بعين الاعتبـار أن تأثير كل نمط من أنماط هذه المقاومة يبقى غير ذات أهمية طالما يبقى منفصلاً وغير متكاملٍ مع بقية الأنماط .

ويمكن تعريف المقاومة المدنية كأسلوب متقدم يعبر عن تعاطف الحاضنة الشعبية على أنها رد فعل شعبي عفوي كثيراً ما يرتبط بمعاناة وحرمان ومشاعر الناس التي يمكن التعبيـر عنها بعدة أشكال كالمظاهرات والاعتصام والعصيان المدني وتوزيع المنشورات المناهضـة للاحتلال ومشروعه، وتصل حدود المقاومة المدنية إلى إشاعة ثقافة احتقار المتعاونيـن مـع الاحتـلال والسائرين بمشروعـه، ويمكن لهـذا النمط مـن المقاومة أن يستوعـب أعـداداً كبيرة وشرائح عريضة من المجتمع للانخـراط فيها بصورة أو بأخرى ضد مشروع الاحتلال كل حسب قدرته واختصاصه، لأن كافة أشكال رفض الاحتلال التي تنطوي عليها المقاومة المدنية غالباً ما تكون ممكنة وفي حدود ليست بتلك الخطورة التي تشكلها الأنماط الرئيسة الأخرى العسكرية والسياسية .

تصـب سلامة النسيـج الاجتماعي للمقاومـة المدنية في ضمـان عملية المطاولة والنفـس الطويل في صـراع الشعب العراقي ضد مشروع الاحتـلال الأمريكي، خاصة وأن انتصار المقاومة العسكرية ضد القوات الأمريكية لم يحسم المعركة بصورة نهائية، رغم أنـه يشكل الأساس المتين الذي سيشكل قاعـدة الانتصار النهائي والحاسم في المراحل اللاحقة، ومن يراقب مولـدات الحراك الشعبي الذي يجتاح المنطقة العربية من مغربها حتـى مشرقها، والتي يمكن وضعها كأحد أنماط المقاومة والممانعة الشعبية يجد أن هذه المولـدات والمحركات تعمل خارج سقوف التوقعـات، فالأحزاب التقليدية نجدها عاجزة عـن تحريك الشارع والسيطـرة عليه وتعيش في فضاءات لا علاقـة لها بواقع الشعب مما

يرتب عليها مراجعة حساباتها وشعاراتها بجدية أو تتنحى جانباً وتتفرغ لكتابة مذكراتها فتريح وتستريح ،أما أحزاب السلطة المليونية فإنها سرعان ما تتبخر عند أول هزة تتعرض لها الأنظمة أو عند أول إشارة لنزول حشود الشعب الغاضبة والهادرة إلى الشارع.

لذا يبدو أننا أمام ظاهرة وثقافة جديدة جديرة بالاهتمام والدراسة والتأمل، طورتها شريحة من الشباب العربي التي تشكل قلب المجتمعات النابض، فتكيفت مع أدوات التواصل الإلكتروني وثورة الاتصالات والمعلومات التي أتاحت بدورها نمطاً جديداً من قدرة التواصل الفريد لم تخطر في بال ودوائر تخطيط الأنظمة، وعبر هذه الوسائط تتم بلورة وتصميم رأي عام وشعارات بحرية واسعة جداً بعيداً عن القيود والرقابة والمواقف المسبقة، لتتنقل بعد ذلك هذه الحشود من الشباب الثائرين التي سبق لها وأن تعارفت عبر ساحات وفضاءات الإنترنت الافتراضية وتنزل كالسيل الجارف إلى ساحات وشوارع وميادين حقيقية على الأرض، وكأنها نظمت نفسها بنفسها مسبقاً بصورة وسرعة باغتت وأرعبت أجهزة وجيوش الأنظمة، وأذهلت الشعوب المقهورة نفسها وزرعت فيها الأمل من جديد.

نحن أمام أجيال جديدة يحركها مثقفون وقادة من الشباب أنفسهم لم ينخرطوا في أحزاب أيديولوجية، وتحركهم مشاعر عميقة بالغضب نتيجة الإحباط واليأس وانعدام الأمل بالمستقبل، سلاحهم صدورهم وشعارات سلمية لا تتجاوز الحرية والأمن ولقمة العيش وهي شعارات تم صياغتها بهذه المعادلة البسيطة:

فكرة واضحة+ قيادات ميدانية من الشباب + شعارات بسيطة + إعلام = ثورة شعب.

إن مظاهر وأشكال المقاومة المدنية يمكن أن تحقق بفعالية النتائج التالية:

أولاً – القدرة على ربط أطراف النسيج الاجتماعي التي حاول الاحتلال الأمريكي تمزيقها، وذلك من خلال إعادة الوشائج والعلاقات ما بين شرائح ومكونات المجتمع العراقي.

ثانياً – استعادة المبادءة من قبل الحركة الوطنية العراقية في تصميم الفعل وليس

obeikandl.com

الاكتفـاء برد الفعل وذلك على أساس قضايا تمس معاناة الشعب العراقي ومظلوميته على يد الاحتلال الأمريكي.

ثالثاً – إدامة التماس مع الشارع العراقـي وتفهم احتياجاته وإعادة اللحمة ما بين الشعـب والمقاومة، فاستمرار المظاهرات والاحتجاجـات والعصيان المدني كفيلة برص الصفـوف وزيادة الثقة بالنفس ومختبر حقيقـي لتخريج قادة ميدانيين جدد من شريحة الشباب المتمرسين قادرين على القيادة والسيطرة والتوجيه.

رابعاً– تأجيـج الروح الوطنية في أوسـاط الشعب العراقي من خـلال المظاهرات والاحتجاجـات، واستعادة الثقـة بالنفس والضغط المباشر لتحقيـق المطالب المشروعة للشعب.

خامساً – كشف انتهاكات الاحتلال المادية والمعنوية بحق الشعب العراقي، وتنبيهه من خلال فعاليات متنوعة مباشرة في وسط الجماهير.

سادساً – كسر حاجز الخـوف النفسي للشعب العراقي ضد الاحتلال ومشروعه في العراق، والتأكيد من خلال مظاهر المقاومة المدنية على استمرار رفض الاحتلال.

سابعاً – عـدم الاعتـراف بالأمر الواقع الذي يحاول الاحتـلال تكريسه، وذلك لأن تصعيـد المقاومة المدنية يشكل أرضية شعبية مناسبة فـي المراحل اللاحقة لإزالة آثار الاحتلال وتداعياته الاقتصادية والسياسية.

ثامناً – وضـع حد لانتشار ظاهـرة الدكاكين في ضفة الحركـة الوطنية من خلال إرساء قواعد سلوك سياسية جديدة تعتبر العمل وسط الجماهير هو الأساس والمعيار.

obeikandl.com

10. ظاهرة الصحوات وأثرها على المقاومة العراقية

طبيعة الظاهرة :

عـادة مـا تشهد الصراعات الطويلـة ذات الطبيعة الشاملة متعـددة المستويات، توظيف بعض الظواهر السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية بل حتى الدينية وزجها في معتـرك هذه الصراعات من قبل هذا الطرف أو ذاك لتحقيق مكاسب مؤقتة على حساب الأطراف الأخرى الداخلة معه في الصراع.

وفـي الصراع الدائر في العراق وهو صراع شامل محلياً إقليمياً ودولياً، استخدمت الأطراف الداخلة فيه على مدى السنين المنصرمة عدة ظواهر تم توظيفها للحصول على مثل هـذه المكاسب، فقد استخدمت(المظلومية) واستخدمـت (المرجعيات الطائفية) واستخدمـت (المحاصصة الطائفيـة والعرقية) وجميعها كانـت أدوات ووسائل ولم تكن غاية بحد ذاتها.

وظاهرة (الصحوات) التي أخذت حيزاً كبيراً من الساحة السياسية العراقية[1]،لا

---

(1) . بدأت عملية التجنيد في منتصف عام 2006 في محافظة الأنبار ووصلت أعداد المتطوعين في عموم العراق (111) ألف متطوع للمحافظات المشار إليها أعلاه وفق ما يأتي :

أ- من تموز عام 2006 ولغاية 2007/1/1 (36500) متطوع من محافظة الأنبار فقط .

ب- من 2007/1/1 ولغاية 2007/10/1 (77000) متطوع من مختلف المحافظات مع محافظة الأنبار.

ج- من 2007/10/1 ولغاية منتصف 2008 بلغ العدد الإجمالي (111) ألف متطوع .

2. تتألف قوات الصحوة من قيادة عشائرية سميت بالمجالس يبلغ عددها أكثر من 186 مجلساً، يقودها وجه أو شيخ العشيرة المتنفذ في المنطقة مع مساعدين من العشائر القاطنة على وفق تنظيم هرمي على مستوى فصيل، سرية، فوج حيث لا يتعدى ذلك إلى لواء، كما أن هذه القوات قد منعت من اتخاذ مقرات عسكرية لها :

أ. يقود الفوج آمراً من ضباط الجيش السابقين (دون تحديد الرتبة).

ب. يتقاضى آمر الفوج مبلغاً قدره (1500)دولار أمريكي شهرياً دون المكافئات الأخرى، فيما يتقاضى آمرو السرايا (1000) دولار أمريكي شهرياً، أما آمرو الفصائل فتتراوح رواتبهم بين 500-800دولار أمريكي .

ج. تصرف هذه المبالغ من قوات الاحتلال مباشرة عن طريق الضباط الأمريكيين المنسقين معهم والمشرفين عليهم.

د. تصـرف أرزاق يوميـة للجميع بثلاث وجبات (سفرية) بدون مقابل، أما الذين يكلفـون بالواجبات فيصرف لهم بدلاً قيمته 300 دولار أمريكي شهرياً . هـ. ليست هناك قيادة أعلى من قيادة الفوج ولهذا فإن الفوج يعتبر مستقلاً في قراراته ومهامه.

تشـذ عن هذه القاعدة، فمن وجهة نظر سياسيـة علمية لا يمكن لنا أن نعد هذه الظاهرة بمثابـة ظاهرة سياسية يمكن البناء عليها، وإنما يمكن وصفها بأنها (ظاهرة اجتماعية) يتم توظيفها سياسياً لخدمة مرحلة من قبل طرف ما . وهي معدة وتم تصنيعها للاستخدام لمرة واحدة، وبذلك تكون أقرب إلى الفقاعة المؤقتة إذا ما قورنت بمدى وحجم الصراع الدائـر في العـراق، وإذا ما حللنا وضع اللاعبين الرئيسيين فـي هذا الصراع وأهدافهم ومصالحهم سنجد أنها أصغر من أن تشكل على المدى المتوسط والبعيد أي وزن يعتد به، وستتلاشى كوسيلة بعد أن يتم استنفاذها وستتعرض إلى التصفية من قبل نفس الأطراف التي وظفتها.

وهنـاك دلالة لا يمكن إغفالها في أن اعتمـاد الاحتلال على قوات عشائرية لتأمين مناطق ومحافظات، إنما يعتبر إقراراً بفشل وشلل الحكومة الاحتلالية وعجزها عن بسط نفوذها .

ولكن ما هي الأسباب والدوافع الحقيقية التي تقف وراء انتشار ظاهرة الصحوات بهـذه السرعة وبهذا الحجم في محافظات الأنبار وديالـى والموصل وتكريت إضافة إلى أحيـاء بغـداد الرئيسـة كالأعظمية والعامرية والـدورة وحي الجامعـة والجهاد، ومن هي الجهات التي ساهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة بظهورها؟

أهداف تشكيل مجالس الصحوة :

يمكـن القـول أن الهدف الرئيس المتوخى من تشكيل مـا يسمى بمجالس الصحوة إنمـا يصب في صالح قوات الاحتلال الأمريكي بالدرجـة الأولى وعلى المديات القصيرة والمتوسطة، فهي تحقق الأهداف التالية:

تحـت ذريعة محاربـة القاعدة و الإرهاب يتم توجيه مجالـس الصحوة للقضاء على المقاومة في المناطق المستعصية على الاحتلال أو الساخنة، ويتم ذلك من خلال تشكيل قـوات شبه عسكرية تكون بمواجهـة فصائل المقاومة، بغية خلق مناطـق عازلة (Buffer zone) تفصـل قوات الاحتلال عن ضربـات المقاومة وكذلك تقلص مـن مساحة انتشار

قوات الاحتلال التي تحد بالنتيجة من عدد عمليات المقاومة نتيجة تقلص عدد الأهداف المتاحة.

شكلت مجالس الصحوة وتسليحها بهذا العدد في حينها ورقة ضغط ومناورة بيد إدارة الاحتلال، لإجبار الحكومة من جهة بتقديم المزيد من التنازلات والتبعية السياسية، وذلك من خلال تهديدها بدمج هذه القوة كميليشيات بوزارة الدفاع والداخلية وتهيئة بديل قوي لهم في حالة رفضهم الانصياع للإدارة الأمريكية، وهذا ما لا تريده حكومات الاحتلال المتعاقبة ذات الحس الطائفي، فهي تتفادى تسليح العشائر كونها لا تضمن ولاءها المستقبلي.

على المدى المتوسط فإن الإستراتيجية الأمريكية تهدف إلى تأمين انسحابات مهمة لقواتها وفقاً لإستراتيجية الانسحاب، وبالتالي ستوكل إلى قوات ما يسمى بالصحوة مسؤولية حفظ الأمن وتأمين هذه الانسحابات من المناطق الساخنة وملئ الفراغ .

كرست قوات الاحتلال تقسيم العراق من الناحية السياسية باعتماد قاعدة المحاصصة الطائفية والعرقية وذلك في الدستور والبرلمان والحكومة، وفي الوقت الذي يتحقق ذلك فعلياً على الأرض بإنشاء قوات تحمي هذه التقسيمات فيتم حماية الشمال من خلال ميليشيات البيشمركة، ويتم حماية الجنوب من خلال ميليشيات فيلق بدر وجيش المهدي التي تتخذ الآن صورة الحرس الوطني والشرطة، وتبقى المنطقة الغربية حيث يتم حالياً إكمال الضلع الثالث لتجسيد حالة التقسيم على الأرض بتبني قوات الاحتلال إنشاء مجالس الصحوة .

أسباب نشوئها :

قد يكون تاريخ 2006/9/17 الذي أعلن فيه أحد أهم قطاع الطرق في الرمادي رسمياً تأسيس مجلس صحوة الأنبار، يصلح من الناحية النظرية لكي يكون تاريخاً لانطلاق هذه الظاهرة، إلا أنه من الناحية العلمية لا يمكن لظاهرة أن تنشأ بقرار وإنما هناك عوامل عدة تفاعلت وتضافرت قبل هذا التاريخ أسهمت ليس في نجاح الإعلان

obeikandi.com

بـل وانتشاره بقوة في مناطق كانـت حتى وقت قريب قلعة للمقاومة العراقية ومحرمة على قوات الاحتلال بل إن مجرد ذكر اسمها يثير الرعب بين صفوف جنوده .

فـي اعتقادنـا أن عـدة أطـراف مدعومة كذلـك بتنامي عوامل أخـرى، ساهمت بمجملهـا فـي بروز هذه الظاهرة بقوة إلـى سطح التفاعلات السياسيـة الحالية . ويمكن إجمال هذه الأطراف والعوامل كما يلي :

1. قوات الاحتلال الأمريكي :

أيقنت الولايات المتحدة الأمريكية بعد معركة الفلوجة الأولى أنها أمام قوة ليست هينـة، وأن الأسلـوب العسكري لوحده غيـر كافٍ لحسم المعركـة والتخفيف عن كاهلها، وأن الحكومـات الاحتلالية المتعاقبة أعجز من أن تستطيع حسم الوضع المتفجر في قلعة المقاومـة وقلبها النابض المتمثل في الرمـادي، لذلك استطاعت ونجحـت في استثمار وتوظيف عدة عوامل معاً لاستيلاد هذه الظاهرة لاسيما وأنها مارست أقسى أنواع الحصار الإنسانـي وتحطيـم مقومات الحيـاة الإنسانية والبنى التحتية بغرض تليـين إرادة الناس وخلـق اليأس في نفوسهـم . هذا العامل الاقتصادي والنفسي تـم تحريكه من خلال عدة عوامل هيأت لما يمكن أن يكون قدحة الزناد في انطلاق هذه الظاهرة [1].

أ - تلاقـي أهـداف بعض قطـاع الطرق و شيوخ ووجهـاء عشائر فـي الرمادي، إما لكونهـم متضررين مـن تصرفات بعض الفصائـل المسلحة، أو تحركهـم دوافع الانتقام والثأر العشائرية والبدويـة نتيجة تصفية آبائهم أو أبنائهم، وهذا الصنف شكل الخميرة الأولى لهذه الظاهرة.

أهـداف الصنـف السابق مـن الشيوخ التقـت مع أهـداف صنف آخر مـن الشيوخ

(1) ضمن التوصيات التي توصلت لها دراسة صادرة عن مؤسسة راند الأمريكية للأبحاث قام بها الباحث سيث جونز موجهة إلـى صناع القـرار السياسي والأمني في الولايات المتحدة الأمريكية والغرب حول كيفيـة القضاء على المجموعات الإرهابية، نصحت بعدم اعتماد النهج العسكري لوحده في القضاء على المجموعات المسلحة، وتوصلت إلى أن 16 % فقط من الجماعات الدينية المسلحة التي خضعت للدراسة تم القضاء عليها بالسلاح ، وأن 73% من فرص النجاح للقضاء على هذه المجموعات يتم من خلال خلق الضد النوعي وبالتعاون مع هيئات محلية إضافة إلى عوامل استخبارية. كما توصلت الدراسة إلى أنه عندما تتورط مجموعة ما في تمرد عسكري تصبح أكثر استعصاء، وأن 50% من هذه الجماعات توقفت عن العمل إثر مفاوضات مع الحكومة، و25% من هذه المجموعات حققت انتصاراً، في حين تم هزيمة 19% من المجموعات أمام القوات العسكرية.

obeikandi.com

والوجهاء الذين تسري العمالة للاحتـلال الأجنبي في منظومة قيمهم المتوارثة، ووجدوا أنفسهم مستعدين بأي ثمن للنيل من المقاومة التي قلصت من مكانتهم .

ب - دخول عملاء الاستخبارات الأمريكية على هذا الخط، حيث تم استخدام المال السياسي بكثافة لتحفيز وتجنيد وشراء ذمم كثير من الأفراد والعسكريين القدماء الذين كانـوا حتى وقت قريب من المتفرجين، وهذا الصنف شكل الخميرة الثانية لتأسيس هذه الظاهرة .

ج- نجاح إدارة الاحتلال في استيعاب وتجاوز أخطائها في بداية الاحتلال من خلال رفع شعارات (مكافحة الإرهاب) لخلق البلبلة والانقسام داخل الرأي العام، حيث إن هذا الشعـار أصبـح رمزاً للصحوة فـي حين يكمن الهدف الحقيقي فـي تصفية كل من يحمل السلاح ضد الاحتلال وفي مقدمتهم رجال المقاومة العراقية .

2. تنظيم القاعدة وإعلان «دولة العراق الإسلامية» :

لا شك كان لبعض التنظيمات الإسلامية المتطرفة التي شاركت في السنتين الأولى من عمر الاحتلال أثراً كبيراً في خلق الصدمة والترويع في صفوف قوات الاحتلال، وكسر الحاجـز النفسي أمام بقية الفصائل العراقية حول تفوق الجندي الأمريكي وقوة الولايات المتحـدة الأمريكية التـي لا تقهر، وذلك من خلال العمليـات الاستشهادية والنوعية التي وجهـت تحديداً ضد قوات الاحتلال ولم تتعداه إلـى المواطنين العراقيين الأبرياء. إلا أن مراحل الصراع شهدت لاحقاً تحولاً خطيراً في توجهات هذه التنظيمات مما شكلت دافعاً وسببـاً رئيسـاً في التمهيد لنشوء ما يسمى بظاهرة الصحـوات، وكانت ذروة هذا التحول السلبي بإعلان (دولة العراق الإسلامية) ، حيث بات واضحاً من خلال سلوكيات وأهداف وعمليـات هذه التنظيمات أن أولويات ما يسمـى بهذه الدولة قد انتقلت من مواجهة العدو المتمثـل بالاحتلال الأمريكي وعملائه، إلى الانشغال بتصفية ومقارعة ليس بقية فصائل المقاومة الإسلامية والوطنية العاملة وتصفية رموزها على الأرض، بل انتقلت إلى الناس العاديين حيث تم تصفية الضباط و التكنوقراط وشيوخ العشائر واعتمدت على مبدأ كان سببـاً رئيساً في نفور الحاضنة الشعبية وهو: (من لم يكن معنا ويبايع فهو ضدنا ومرتد)

واستخدمت أحكام وحدود شكلية وقاسية تجاه المواطنين باسم الدولة الإسلامية كما تم تصنيف الشعب العراقي إما إلى كافر أو رافضي أو مرتد، وبالتالي من الناحية الفعلية تكون «هذه الدولة» قد أعلنت الحرب على جميع مكونات الشعب العراقي، والغريب أنه كان في مقدمة المستهدفين المناطق والمحافظات التي أصبحت لاحقاً ساحات لنمو وانبثاق ظاهرة الصحوة بقوة كنوع من رد الفعل. وفي اعتقادنا أن هذه التحولات السلبية جاءت نتيجة اختراقات لهذه التنظيمات بغرض تشويه صورة المقاومة وسلخ المقاومة عن حاضنتها وربط المقاومة بالإرهاب مما يضع أكثر من علامة استفهام عن خلفية ومرجعية هذه التنظيمات الدخيلة والغريبة عن طبيعة المجتمع العراقي .

3. فصائل المقاومة العراقية :

لا شك أن الاختراق الذي أصاب التنظيمات الإسلامية المتطرفة والتي تشكلت أصلاً وفق رؤيا أمريكية في ثمانينات القرن الماضي في إطار الصراع السوفييتي الأمريكي على أفغانستان، لم يصيب بنفس الدرجة فصائل المقاومة الوطنية العراقية و ذلك لعدة أسباب لعل أهمها أن قيادة هذه الفصائل عراقية بحتة، وأن عقيدتها وإيديولوجيتها ليست أممية أو مستوردة من الخارج، إلا أن ذلك لا يمنع من القول أن هناك عدم نجاح من قبل فصائل المقاومة العراقية في نشر وتوسيع رقعة المقاومة على أساس وطني كبقعة الزيت وانشغالها بمناطقها، فقد استمرت الصبغة الرئيسة لها محصورة في مذهب ومناطق معينة، ولم تحقق نجاحات في إدامة الصلة بأشكال المقاومة في الجنوب، وكذلك تركيزها على الجانب العسكري الصرف و إهمالها الجوانب الإستراتيجية الأخرى للصراع اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، وكذلك عدم الاهتمام الكافي في كيفية كسب و احتواء وديمومة الحاضنة الاجتماعية التي تعمل و تستمد منها المقاومة قوتها البشرية و المادية و اللوجستية. فمن المعلوم أن طبيعة العمل العسكري لفصائل المقاومة في المرحلة الأولى من الصراع يمكن تقسيمه على النحو الآتي : هناك 40% من العمليات العسكرية ضد العدو تجري في ظل تنظيمات المقاومة المنظمة والمنضبطة، في حين يساندها في إنجاز هذه العمليات ما نسبته 60% من الداعمين والساندين و العاملين

تطوعـاً تحت الوازع الديني أو الوطني بطريقة (الفزعة) أو(العونة) وهذه النسبة (60%) لـم تكن من الناحية الفعليـة تنتمي إلى ما استقرت عليه حالياً رايـات المقاومة، لقد تم إهمـال هذه النسبة من قبل الفصائل بمعنـى الاهتمام والقدرة على تأطيرها و تحشيدها أو علـى الأقـل تحييدها، و خاصة مـن الناحية الاقتصادية و الدعـم الإنساني، من خلال إعالـة عوائل الشهداء منهم أو التكفل بمعالجة الجرحى أو تأمين عمل يعيل عوائلهم بغية إدامة الصلة و تثبيت المطاولة، وهذه النسبة أصبحت لاحقاً مادة سهلة للانضمام إما إلى التنظيمات المتطرفة أو في النهاية إلى ما يسمى بمجالس الصحوات .

4. العامل الاقتصادي:

كما هو معلوم فإن الجيوش تزحف على بطونها، وطيلة السنين الخمس الأولى التي سبقت نشوء ظاهرة الصحوات كانت حقبة قاسية على المقاومة العراقية وحاضنتها وتمثل مرحلـة كاملة استنزفت خلالها مـوارد المقاتلين و صبر عوائلهم و كذلك ذخيرتهم. وفي الوقـت الذي تكابد فيه فصائل المقاومـة لتمويل متطلبات واحتياجات فصائلهم حصراً، فشلت بقيـة القوى السياسية وحتى الاجتماعية المناهضـة للاحتلال في أداء واجباتها و الارتقـاء في عملها إلى مستـوى العمل المقاوم المسلح، في الحفـاظ على صمود حاضنة المقاومـة الشعبيـة وإدامة تحصينها مـن الاختراقات، خاصة من الناحيـة الاقتصادية. ويتحمل المسؤولية في هذا الموضوع الموسرين أو مسؤولي الدولة السابقين الذين سربوا مبالغ طائلة معهم إلى خارج العراق وأثرياء آخرين، و كذلك الفشل الكامل لجميع أطياف المقاومـة العسكريـة والسياسية في اعتمـاد إستراتيجية لإدامة التمويـل واستمراره دون انقطـاع، و ذلك بفتـح منافذ جديدة ومبتكرة سـواء داخلية من خـلال مشاريع محلية أو خارجيـة من خلال أخذ نسبة الفائدة من أموال الأثريـاء في المصارف الأجنبية أو حتى فتح منافذ للدعم من دول معادية للولايات المتحدة الأمريكية، و ليس بالضرورة أن تكون هـذه الدول إسلامية . وفي سياق العامل الاقتصادي كأحد أسباب نشوء ظاهرة الصحوة لا يمكـن إهمال دور التجار والمقاولين في تشجيع نهج الصحوات للحصول على مكاسب جراء تأمين الطرق التجارية و كذلك ضمان عقود مقاولات إعادة الإعمار .

obeikandl.com

5. الحزب الإسلامي:

أدى الحزب الإسلامي عدة أدوار لصالح الاحتلال الأمريكي وعقد خلال فترة الاحتلال وعبر آلية المساومة عدة صفقات كانت بمجملها على حساب الشعب العراقي، كالاشتراك في مجلس الحكم وتمرير الدستور أو الانتخابات والفيدرالية و تمرير الاتفاقية الأمنية و صفحات أخرى سياسية، ويعود له الفضل في تحقيق أكبر نجاح سياسي للاحتلال الأمريكي متمثلاً في تغيير مسار أولوية (الفرضة والشعيرة) لبعض بنادق فصائل المقاومة، من اتجاه الاحتلال الأمريكي كأولوية أولى باتجاه الأولوية الثانية وهي النفوذ الإيراني، مما هيأ الأرضية النفسية لكثير من الأفراد بإمكانية التعاون مع المحتل والعمل تحت قيادته و إمرته بحجة أن العدو الأساسي ليس الولايات المتحدة الأمريكية .

مستقبل ظاهرة (الصحوة) وسبل معالجتها :

على الرغم من أن تشكيل مجالس الصحوات بهذا الحجم أتاح لقطعات الاحتلال نسبياً نوع من (التقاط أنفاسه) وكذلك أدى إلى نوع من انتزاع المبادءة من يد فصائل المقاومة، إلا أن هذا الأمر طبيعي في مديات الصراع الطويل، فالأمر الحاسم في صراعات من هذا النوع هو القدرة على المطاولة والبقاء، وقيمة حروب المقاومة أو كما تسمى في أدبيات حركات التحرر الوطني (بحروب العصابات) تكمن في قدرة هذه الفصائل المقاومة على قطع التماس مع العدو وليس في إدامة التماس معه، واحتفاظها بالجهود وبالقدرة على اختيار المكان والزمان والهدف المناسب للاستمرار في استنزاف العدو وخلق الملل لديه وجعل بقائه كمحتل لفترة طويلة أمراً مستحيلاً .

إن مجالس الصحوات وكما تم التطرق إلى طبيعتها (ظاهرة اجتماعية) وليست ظاهرة سياسية، تضافرت عوامل عدة على بروزها لكنها في كل الأحوال ظاهرة مؤقتة، وورقة بيد قوات الاحتلال، تم تجنيد هذا العدد الكبير ضمن صفوفها على أساس نظام (المرتزقة) حيث أن عدداً كبيراً منهم وخاصة في أحياء بغداد يعمل على أساس (عقود أمنية مؤقتة) لمدة بين 3 – 6 أشهر.

إن دراسة دقيقة لهذه الظاهرة والتعمق فيها، نجد أن نسبة كبيرة من أعضائها

obeikandl.com

وخاصـة في بغداد كانت أعداد وهمية ويتم تضخيمها لكي يكسب مقاولو الصحوة بصورة سريعة أكبر مردود مالي ممكن والهرب إلى الخارج، وبالتالي فإن هذه المجاميع مأجورة، لا تحمـل أي عقيـدة سواء سياسيـة أو قتالية، وإنما جمعتها المصلحـة المؤقتة، وكان من الطبيعـي لهذه الظاهـرة أن تتلاشى تدريجيـاً وتصبح هدفاً سهلاً لجميـع الأطراف بما فيهـا الحكوميـة بعد أن تستعيد فصائـل المقاومة العراقية المبـادءة أولاً، وبعد أن تصل الخلافـات علـى السلطة والثروة بين زعماء هـذه الظاهرة (مجالس الصحوة، مجالس الإنقاذ، مجالس العشائر) ذروتها، ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تصفية معظمهم لاسيما قتـل عبد الستار أبو ريشة في 2007/9/17 بعد أيـام من لقائه الرئيس الأمريكي بوش في الرمـادي، وفشلت معظـم محاولات دمج أفـراد الصحوات كما وعدتهـم إدارة الاحتلال التـي شرعت بانسحابات تدريجيـة تاركة إياهم يواجهون مصيرهم بيـن سندان الشعب والمقاومة وبين الحكومة.

إن الصـراع ضـد إستراتيجيـة مشـروع الاحتـلال الأمريكـي للعـراق بصفحاته العسكريـة والاقتصادية والسياسية والاجتماعية يتطلب مـن القوى المقاومة والمتصدية لهذا المشروع أكثر من مجرد العمل العسكري، رغم أنه يمثل ذروة المقاومة و رأس الرمح فـي عملية التحرير، فلكل مرحلة من الصراع خصائصها و استحقاقاتها، إلا أن البوصلة الوحيدة التي يمكن من خلالها قياس مستوى الصراع هي القدرة على المطاولة والبقاء، و يمكن أن نتذكر بهذا الصدد مقولة: (إن مجرد بقاء فصائل المقاومة وهي تحتفظ بقوتها فإن ذلك يعني أنها تكسب).

و كمقترحـات يمكـن إدراج المحاور التاليـة التي يمكن أن تصلـح بمجملها كحزمة الوقاية وكيفية التعامل في معالجة ظاهرة (الصحوات) :

العمل على وحدة فصائل المقاومة بمجلس تنسيقي عسكري موحد لاستعادة التوازن والمبادءة بيد المقاومة ويزيد من ثقة المقاتلين بأنفسهم .

تشكيـل مجلـس سياسي موحد ذو طبيعـة وطنية يعلن عنه مـن شخصيات سياسية وطنيـة ثابتـة ضد الاحتلال، للقيـام بمهمتين: الأولـى استثمار فشل الاحتـلال السياسي

obeikandl.com

والاقتصادي وكذلك حكوماته الاحتلالية المتعاقبة، و طرح و ترويج مشروع سياسي موحد للمقاومة و القوى الوطنية يشكل بديل مقبول لدى الشعب وذلك لوجود فراغ سياسي كبير في الساحة، و لعدم ثقة الناس بمعظم الحركات و الطبقة السياسية الحاكمة، المهمة الثانية لقيام هذا المجلس هي انتزاع شرعية المقاومة كحركة تحرر وطني (لاسيما بعد توحدها) في كافة المحافل الإعلامية و المنظمات العربية و الإسلامية و الدولية و الذي يحول دون ذلك حالياً هو تفرق هذه الفصائل في قياداتها وبرامجها.

اعتماد إستراتيجية الإنهاك تجاه الاحتلال و إذنابه من خلال اللجوء إلى المجاميع الصغيرة والضرب في المناطق الرخوة (خطوط الإمداد النائية) على سبيل المثال لا الحصر، و نقل ساحة القتال إلى الأطراف بدل المراكز و إجبار الاحتلال على الانتشار في أكبر مساحة، بمعنى تجريدهم و عملائهم من نقاط القوة والإسناد والإمداد .

الابتعاد في هذه المرحلة عن أسلوب المناطق المحصنة (القلاع المحررة) و سلوك مبدأ الضبابية و الغموض و ترسيخ شعور (اللايقين) لدى العدو في عدم توقع شكل وحجم وتوقيت أو موقع الضربات .

تكثيف ثقافة المقاومة و تحصين وعي المقاتلين من خلال النشرات والكراسات، وكذلك زيادة الوعي و التعبئة ونشر و ترويج عمليات المقاومة مهما كان حجمها في أكبر عدد من وسائل الإعلام المرئية و المقروءة أو المسموعة .

تجاوز الخلل السابق في إعطاء فصائل المقاومة صبغة مذهبية و التأكيد على الطابع الوطني لأهداف المقاومة بهدف استثارة أهلنا في الجنوب والشمال، أولاً: لتخفيف العبء و فتح جبهات للعدو غير متوقعة، وثانياً: لردم الهوة النفسية التي يحاول العدو خلقها بين العراقيين .

استثمار الفترة الحالية لإعادة التنظيم و التجهيز و التدريب وتفادي الانتقام من أفراد الصحوات.

الإعلان بصورة دورية عن البراءة من أية أعمال تستهدف العراقيين، واعتبار حرمة الدم العراقي خطاً أحمر لا ينبغي تجاوزه تحت أي ذريعة أو حجة أو من قبل أي طرف مهما كان وصفه.

obeikandl.com

11 - العشائر و السياسة في العراق و دورها المستقبلي

لم يفترق يوماً المشهد السياسي في تاريخ العراق الحديث عن البنية الاجتماعية العشائرية، إن لم تكن على الدوام انعكاساً لها، فموجات الهجرة المستمرة والمتواصلة من الجزيرة والأرياف الواسعة إلى حواضر المدن جعل من الأخيرة وحدودها امتداداً للقبائل المحيطة بها، الأمر الذي جعل من هذه العشائر تشكل على الدوام هاجساً للسياسيين والحكام سواء في المراكز أو في الأطراف .

ويعود السبب إلى أن هذه العشائر كانت ولا تزال بمثابة وحدات اجتماعية متماسكة ذات أنظمة وقوانين وأعراف مستقرة وراسخة تعضدها صلة الدم والقربى وتتمتع ولو بصورة أولية ما يشبه السلطة التشريعية والتنفيذية والمالية المستقلة، مما يجعل منها منظومات اجتماعية شبه مستقلة أو أقرب إلى (دولة القبيلة) وخاصة في العهود السابقة التي كان شيخ القبيلة يتمتع فيها بسلطة وصلاحيات واسعة .

ولقد عبر الأستاذ الدكتور علي الوردي الباحث في علم الاجتماع السياسي عن نمط هذه العلاقة ما بين المدن والعشائر في العراق بمعادلة رياضية عكسية، مفادها أن دور الدولة في المركز كلما كان قوياً ضعف دور العشائر في الأطراف، والعكس صحيح فكلما ضعفت أو انهارت السلطة المركزية نشط دور الأطراف وزاد من تدخل العشائر في السياسة، والحقيقة أن هذا الصراع لا ينحصر في الأدوار وإنما يشمل تأثيراً متبادلاً في منظومات القيم السائدة وهذه المعادلة كثيراً ما تكررت في تاريخ العراق[1].

(1) في محاضرة للدكتور علي الوردي في نيسان 1991 في قاعة المتحف البغدادي حضرها المؤلف، أكد الدكتور الوردي أنه لا يزال متمسك بطروحاته عن تركيبة الشخصية العراقية التي ثبتها في سلسلة كتبه وخاصة كتاب (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) وأن دراساته تؤكد أن هناك نسبة 65 % من العرقيين لا تزال تحركهم منظومة قيم الريف والبداوة.

obeikandi.com

العشائر والاحتلال البريطاني

قدم الاحتلال البريطاني إلى العراق مطلع القرن المنصرم وهو يرزح تحت منظومة غايـة في التخلف على كافة الصعـد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولم تكن المدن حينها سوى واحات صغيرة وسط ريف وبداوة طاغية ولم تكن هناك أية تشكيلات سياسية أو أحـزاب، وافتقرت البـلاد حينها لأية بذور واعدة على المستـوى السياسي عدا ثلة من الضباط العراقيين في الجيش العثماني وأقل منهم من الكتبة المتعلمين (الأفندية).

إلاّ أنّ الوعي الفطري والغريزي الذي تلقح آنذاك بوعي ودور وطني شرعي لبعض المراجـع الدينيـة كان كفيلاً بإشعال فتيل ثـورة عارمة سنة 1920، فاجـأت البريطانيين الذيـن حاولـوا إطفاءها بكافـة الوسائـل المادية والمعنويـة من خلال اللعـب على ورقة التقسيـم الطائفـي، ثـارت عشائر الجنـوب بقوة كما ثـارت عشائر الوسـط والغرب ولم تتخلـف العشائـر الكردية في الشمال التي قادهـا الشيخ محمود الحفيـد للاشتراك إلى جانب عشائر الجنوب لقتال الإنكليز في البصرة.

جـرب البريطانيـون بعد الثورة أسلوبـاً جديداً بعد أن اتضح لهـم جلياً من خلال مجريات الثورة استحالة الحكم البريطاني المباشر للعراق، فاستقدموا الأمير فيصل بن الحسين ونادوا به ملكاً على العراق وأعلنوا المملكة الهاشمية العراقية وسنوا لها دستوراً، وربط العراق وتم تقييده بمعاهدة طويلة الأمد سيطر من خلالها الاحتلال البريطاني على كافـة مقاليد الحكم، ومن خلال ترسيخ سلطة شيوخ العشائر وإعطائهم صلاحيات مالية وزراعية ووجاهية تمكن البريطانيون من تحييد الكثير من شيوخ العشائر الذين ثاروا سنة 1920 عدا قلة منهم ممن استمر بمناهضة الإنكليز، وكانت ثورة ماي 1941 امتحاناً عسيراً لم ينجح فيه سوى قلة من شيوخ العشائر في الثبات على الموقف الوطني.

العشائر بين احتلالين

بعـد عقود من ثورة العشرين التـي كان لأبناء العشائر وشيوخها دوراً بارزاً فيها، تنامى دور لاعب جديد بدأ يمتلك تدريجياً مقومات القوة والتأثير ذلك هو طبقة الضباط

obeikandl.com

في الجيش العراقي، وسط اشتداد الصراع السوفييتي الأمريكي منتصف القرن الماضي لملئ الفراغ في الشرق الأوسط على حساب تراجع الدور البريطاني، هذا الصراع الدولي الـذي انعكس بـدوره داخل هذه المؤسسـة الناشئة اتخذ شكل ريـاح شيوعية تارة وقومية تـارة أخرى، لـم تتأخر في الإطاحـة بالنظام الملكـي ومؤسساته الباليـة برمتها لصالح ثـورة سميت شعبية وأزاحت معهـا كافة امتيازات وحصانات وهياكل طبقة شيوخ العشائر والإقطـاع ودورهم فـي المجتمع الذي أخذ تدريجياً و بعد عدة عقود بالتقلص لصالح نمو الطبقـة الوسطى الفتية، هذه الطبقـة الناشئة التي تمكنت من تأسيـس ثقافة و منظومة قيم جديدة في السياسة والفن والاقتصاد ونشأت و تراكمت أجيال في العراق من الأطباء والمهندسيـن والمعلميـن والضبـاط والفنيين والفنانيـن، إضافة إلى نمـو و تزايد تأثير الأحـزاب السياسية فضلاً عن طبقة الضباط في مؤسسـة الجيش العراقي. وتخللت تلك الحقبـة التي سادت عقـود منتصف القرن الماضي من تاريخ العـراق الكثير من الثورات والانقلابات الدموية قاد معظمها العسكر.

مـا إن دخل العـراق آتون الحرب مع إيران مطلع عقـد الثمانينات والتي استمرت مـا يقارب ثمان سنين حتـى تعرضت بنية المجتمع العراقي المتماسكة والقوية إلى هزات عنيفـة على كافـة المستويات الاقتصاديـة والعسكرية والاجتماعية وحتـى الدينية، حيث شكلت هذه الحـرب مخاضاً عسيراً صاحبه تركيز شديد للسلطة وعسكرة المجتمع طبقاً لشعـار (لا صوت يعلو على صوت المعركة)، جرى كل ذلك على حساب الخطة الانفجارية للتنميـة البشريـة و الاقتصادية التـي لم تدم أكثر من خطتين خمسية مـا لبثت أن وأدت بصورة شبه كاملة مطلع عقد التسعينات الذي شكل انهياراً حاداً نحو الهاوية .

فقد تنامى تناقض حاد بين الخطاب السياسي وهياكل الدولة من جهة و بين الواقع الـذي يعيشه المجتمع المثقل بحصار دولي قاسٍ من الخـارج، والتركيز الشديد للسلطة التـي اتخـذت شكلاً عشائرياً و عائلياً فظاً و احتقاناً شعبياً عبر عن نفسه بانفجارات على هيئـة انتفاضات سواء في الجنوب أو في المناطق الغربية، لاسيما وأن المناطق الشمالية أصلاً لم تعد ضمن نطاق سلطة المركز.

مهّد هذا التدهور القيمي التدريجي لعودة معادلة علم الاجتماع السياسي بخصوص العلاقة بين المركز و الأطراف، فما لبثت السلطة حتى عادت لتستعين بشيوخ العشائر للسيطرة على الأطراف من خلال تصنيع هؤلاء الشيوخ وإعادة إنتاجهم كقادة للمجتمع وتصنيفهم على أساس الولاء والتأثير إلى شيوخ (صنف أ، صنف ب، صنف ج)، ودعمهم في مناطقهم و إجراء رواتب مجزية لهم على أساس الوصف والتصنيف السابق .

لقد سادت عقد التسعينات موجة إعادة و ترسيخ الثقافة العشائرية الفرعية وهياكلها في انكفاءة شديدة إلى الخلف و استعاد شيوخ العشائر دوراً رسمته السلطة، حتى إنّ مهناً وحرفاً قد راجت في تلك الفترة للبحث في الأنساب و جذورها ورسم أشجار العشائر والقبائل وتشكيل مجالس للقبائل وجمعيات للأنساب، وذلك لإذكاء التنافس الشديد بين الشيوخ و الوجهاء و منافسيهم في العشيرة والمنطقة الواحدة حتى داخل المدن، وذلك لإثبات هويتهم أو حتى تزييفه إن تطلب الأمر من أجل الحصول على رضا الدولة و الفوز بتصنيف متقدّم يتيح أكبر قدر من الامتيازات المادية المجزية والوجاهة بالتقرّب من رأس السلطة أو المسؤولين الأدنى.

ولم تكتف الحكومة في عقد التسعينات بتنشيط الثقافة العشائرية الفرعية بل غازلت كذلك القوى الدينية النائمة والخائفة منذ عقود وشجعتها ودعمتها بطرف خفي، وأعطتها جرعاً منشطة للعمل و لكن بشكل غير معلن كما هو شأن العشائر.

العشائر والاحتلال الأمريكي

عندما دخلت قوات الغزو الأمريكي-البريطاني العراق في آذار 2003 لم يكن في العراق بنية وطنية متماسكة، فعقود الحروب والعسكرتارية و الحصار الطويل طالت عرى التماسك ما بين الدولة والشعب وأصبحت هناك خيوط واهية ومصطنعة تربط ما بينهما، والحقيقة أن منظومة القيم و الثقافة القومية التي تم التركيز عليها طيلة عقود لاسيما بعد أن استهلكت جراء الهزائم و التناقض مع الإهمال الكامل لبناء ثقافة وطنية وتحطيم مقومات الطبقة الوسطى و تهشيم كافة هياكلها وإفراغها من محتواها، أدّى

إلـى تراجـع شامل ومباشر من قبل كافة شرائح المجتمـع ودفعها إلى التخندق متسلحين بالثقافـات الفرعيـة المتمثلـة بالعشائـر والقبائل والمذاهـب و الطوائـف، و التي فشلت الحكومات المتعاقبة في صهرها في بوتقة المواطنة و الهوية الوطنية الواحدة.

قدّمـت دبابـات الاحتلال الأمريكـي و هي مدعمة بإستراتيجيـة متكاملة و خبرة بريطانية متراكمة سابقة للتعامل مع هذه الحقائق وتوظيفها، فدول الشرق الأوسط طبقاً لنظريـة الفوضـى الخلاقة ومنظرها الرئيـس « برناردلويس» هـي دول حديثة تفتقر إلى عنصر المواطنة و بمجرد ضرب الأنظمة الحاكمة فيها سرعان ما ستتحلل مجتمعات هذه الدول وتنفرط إلى طوائف و قبائل ومذاهب متناحرة .

تأسيسـاً علـى ذلك حرص الاحتلال الأمريكي فور دخولـه بغداد على ضرب كافة مقومات السيادة و تسريح وحـل كافة منظومات وصمامات الضبط الاجتماعي كالشرطة والأمن والجيش والمخابرات و سمح و شجع على أوسع عملية للنهب والسرقة و الـ(فرهود) فـي تاريـخ العراق، حيـث لم تسلـم المستشفيـات والمتاحـف والمصـارف و دور الدولة والمكتبات من عمليات السرقة والنهب والحرق.

وذاب مئات الألوف من الضباط و الجنود و رجال الأمن والشرطة و المخابرات في مناطقهم و عشائرهم و اضطر أضعافهم من الأطباء والمهندسين والمعلمين والصيادلة و الفنييـن والمثقفين نتيجة انعدام أية حماية حكوميـة لهم من الاحتماء بالكتل الطائفية والعرقيـة التي تشكلت وبرزت بقوة بعد الاحتـلال، لاسيما وأن الاحتلال ومن جاء معه قد أسسـوا قاعدة المحاصصة الطائفية والعرقية كأساس للعبة السياسة والحكم في العراق تحت الاحتلال .

لم يلبث أن شكّل عمق الريف العراقي والتوزيع الديموغرافي بيئة مناسبة لانطلاق العمليـات المسلحة ضـد قوات الاحتلال، فهذه البيئة أتاحت فـوراً إمكانية للتعاون والثقة بين أبناء العشائر الذين خدم معظمهم بالجيش أو الحرس الجمهوري، ففي هذه المرحلة المبكـرة شكلت مناطق الريف العراقـي وأبناء العشائر حاضنـة مثالية لانطلاق عمليات المقاومة ضد الاحتلال الذي تفاجئ بحجمها و كثافتها وتكبد فيها خسائر بشرية و مادية

جسيمـة، وكأنهـا شكلت بقوتها نوع من استعـادة المبادءة وإعادة التنظيـم ولكن بوسائل أخرى .

ومـن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلـى نمط العلاقة بين الرموز الدينية والعشائر العراقية التي سادت في ظل الاحتلال، ففي الوقت الذي مثل فيه العامل الديني والشرعي الشـرارة الأولى التي قدحت عمليات المقاومة في مناطـق كثيرة في وسط وغرب وشمال العـراق وساعـد في انبثـاق ذلك الخزين الغنـي للذاكـرة العراقية في رفضهـا الفطري والغريزي للاحتلال والعدوان ، فإن عشائر الجنوب وأبناءها لم تتخلف عن المقاومة رغم تفـاوت حجمها مقارنة ببقية المناطق بعد تصاعـد الوعي لديها وانكشاف زيف ادعاءات بعض المراجع الدينية والسياسية الطائفية التي حاولت إخماد روح المقاومة في الجنوب لصالح الاحتلال تحت ذريعة المظلومية.

لقـد أدّى قصـور النظر وانعـدام الخبرة و إهمال عناصر الصـراع و غياب الرؤيا الإستراتيجيـة الشاملـة لعمليات المقاومة إلـى إغفال الأبعاد الاجتماعيـة و الاقتصادية والسياسية وتم التركيز على البعد العسكري، ولم يتأخر الاحتلال الذي مني على المستوى العسكـري بهزيمة مذلة في الاستفادة من هذه الثغرات و محاولة الالتفاف عليها، فأغرى بعض شيـوخ العشائر ووجوهها وبعض من قطاع الطرق بالتعاون معه مستغلة المتضررين منهم أو الطامحين، ورافق ذلك تنامي التذمر الشعبي المتزايد و توقف الحياة الاقتصادية الـذي ساد مناطق و حواضن المقاومة، و الحقيقـة إن عدة عوامل قد تضافرت وأدت إلى بـروز ظاهرة «الصحوات» كما مر ذكره سابقاً لاسيما عام 2007 و الذي تمكن من خلالها الاحتـلال الأمريكي من التقاط أنفاسه و إنقـاذ نفسه و تأجيل هزيمته التاريخية الحتمية في العراق.

دور العشائر المستقبلي

قامت فكرة «الصحوات» و هي براءة اختراع أمريكية تصميماً وتصنيعاً باستغلال صفـة ملازمة متأصلة عند بعض شيـوخ ووجهاء العشائر تتعلق بمفهـوم الوجاهة والمال

obeikandl.com

والـذي يتقدم طبقاً لأعراف أيضاً بعض شيوخ العشائر على مفاهيم الوطنية والدولة التي عـادة ما تكون متأصلة لدى أبنـاء العشائر، إضافة إلى قيم الكـرم والشجاعة و التسامح المتجـذرة فيهم. فمن المتوقع قيـام إدارة الاحتلال بملئ الفراغ سياسياً وعسكرياً حيثما استهلكـت أوراقـه القديمـة التي تآكلـت وباتت معزولة شعبيـاً، لذا تم دعـم بعض هؤلاء وإسنادهـم. بـل إنّ الرئيس الأمريكـي السابق جورج بوش وخلفه الرئيـس الجديد أوباما اللذين يتهافت على مقابلتهم رؤساء وملوك ذهبوا إلى العراق للقاء رئيس «صحوة» الأنبار علـى الرغـم من أنه أحـد قطاع الطرق، هذه الزيـارات لم تكن سوى رسالـة مهمة و غير بريئـة تعبر بحق عـن معرفة عميقـة بطبيعة الشخصيـات العشائرية، حيـث تصاعدت بعدها دعـوات قوية وواسعة لإنشاء «صحوات» ليس في شمال ووسط العراق بل في جنوب العـراق الهادئ عشائريـاً بصورة نسبية، زيارات ودعم تأتي لتأكيد نهجها في التعامل مع الرمـوز العشائرية يؤكد ملامح الدور المستقبلي الذي ستلعبـه العشائر قريباً في الحياة السياسية العراقية، ولم تتأخر رموز الطبقة السياسية للاحتلال بدورها في محاولة منها فـي توظيف شيوخ العشائر خدمـة لمآربهم الانتخابية في سيـاق التنافس الانتخابي على السلطـة، فتشكلت مجالس الإسناد واللجـان العشائرية وعقدت المؤتمرات العشائرية في بغـداد وبقية المحافظـات للترويج لهذا السياسي أو ذاك وخصصـت مبالغ ورواتب لهذا الغرض.

على مستوى الدور الوطني الإيجابي المستقبلي الذي قد تلعبه العشائر في العراق علينـا أن لا نسقـط في أي حال مـن الأحوال من الحسابات أبنـاء العشائر، وكذلك وجود شيوخ عشائر حافظوا على الإرث الوطني لأجدادهم الذين كانوا رأس الحربة في مقارعة الاحتـلال البريطاني، من المهم تحديد الإطار الـذي ينبغي أن ينحصر فيه نشاط شيوخ العشائر وتحديداً في الإطار الاجتماعي من خلال العمل على تعميق دور العشائر كصمام أمان للوحـدة الوطنية وتماسك وتواصل نسيجها الاجتماعي، الذي نجح مشروع الاحتلال إلـى حد ما في تمزيقه و تقطيعه وكذلك والتخفيف مـن حدة الاحتقان والشحن الطائفي الذي يؤججه ويوظفه بعض الساسة ورجال الدين وكذلك تصفية ومحاصرة آثار القتولات

obeikandl.com

الكثيرة التي حصلت بين أبناء الشعب العراقي جراء الفتنة ، أما الواجب الأهم والتاريخي لأبنـاء العشائر أو شيوخها فهو العمل على ضمـان مناطقهم كحاضنة للمقاومة العراقية بمعناها الواسع وعدم الانجرار إلى فخ الاحتلال ومخططاته .

obeikandl.com

12 - المقاومة العراقية وتطوير منظومة القيادة والسيطرة

طبيعة القيادة – المفهوم والتعريف

لا يمكـن تصور عمـلاً ما قابلاً للإنجاز من دون منظومة قيادة، فالقيادة والإنجاز توأمـان لا ينفصلان، ولتصوير أهميـة منظومة القيادة يمكن تشبيهها بالعقل أو الدينمو، ذلـك الجـزء الصغير الفائـق الأهمية الذي تقـع على عاتقـه مسؤولية التفكيـر واختيار البدائـل ومساعدة وتحفيـز بقية الأطراف على أداء وظائفهـا ومباشرة واجباتها بتنسيق تام وانتظام، سواء أكان ذلك بصورة جزئية منفردة أو بصورة مترابطة و شمولية .

وبقـدر تعلـق الأمر بهذه الدراسـة، فإن المقتربات النظرية لهـذا المبحث ستكون مقترنـة بما يخدم فكـرة المقاومة، وستكـون بشقين، يتناول الشـق الأول تعريف القيادة وأهـم خصائصها وواجباتهـا وآليات اختيار القادة فيها، مزاياهـم وعيوبهم، وقبل ذلك تمييـز مفهـوم القيادة عن مفاهيـم أخرى مقاربة، كثيـراً ما تختلـط وتتشابك من حيث الاستخـدام وفـي مقدمتهـا الإدارة ويتعلق الشق الثانـي حصراً بأزمة القيـادة في حركة المقاومة العراقية.

يمكن تعريف القيادة على أنها (القدرة على لعب دور رئيس، والقابلية على ممارسة التأثير على الآخرين عبر امتلاك ميزات ذاتية كامنة مدعومة بمؤهلات مكتسبة، لإنجاز أهـداف ومهـام محددة في إطـار منظومة عمل متكاملة)، وهناك مـن يعرفها على أنها قدرة التأثير على سلوك الآخرين وحثهم على القيام بأنشطة يرغبها القائد.

وللتمييـز بين مفهومي القيادة والإدارة حيـث يتم الخلط بينهما كثيراً، فإنه يمكن القـول أن بإمـكان كل قائد أن يكون مديراً ولكن ليس بالضـرورة أن يكون كل مدير قائداً، فالمديـر يستمـد صلاحياته من خارجه، في حين يستمد القائـد قوته من صفاته الذاتية الكامنة، كما أن المدير يمارس سلطاته وتعليماته من خلال حزمة من الأنظمة والتعليمات

obeikandl.com

لا علاقة لها بمدى رضا أو قبول وقناعة المرؤوسين، في حين يحكم الرضا والقبول والقناعة والشعور العالي بالواجب نمط العلاقة بين القائد ومرؤوسيه وبدون هذه العلاقة يفقد القائد قدرته على التأثير .

وفي الوقت الذي تستطيع فيه لوائح وقوانين الإدارة تغيير المدراء، فإن القيادة أمراً آخر لا يمكن حيازته عن طريق الأوامر الإدارية والتعيين وإنما عبر تضافر عدة عوامل ما بين عناصر ذاتية تتعلق بشخصية القائد إضافة إلى ظروف خاصة، فقد يتواجد قائداً ولا تتهيأ له الظروف اللازمة لممارسة قدراته القيادية .

كما تعد الرئاسات والزعامات والمرجعيات والرموز أنماطاً أخرى لا علاقة لها بمفهوم القيادة المقصود في سياق هذه الدراسة، حيث تقاس فيها القيادة بدلالة القدرة على التأثير والإنجاز ومدى ارتباطها بفن الإستراتيجية، فقسم من هذه الرئاسات عدا عن مفهوم الإدارة التي تم شرحها آنفاً، إنما يتحقق إما عبر تقليد الوراثة أو بالتعيين أو يتم اختيارها عبر طقوس دينية معينة، وكثيراً ما يرد في هذا السياق سؤالاً محيراً وهو: بماذا يمكن تفسير التأثير الطاغي والحاسم الذي تمارسه بعض المرجعيات أو الرموز أو الزعامات على ملايين من الكتل البشرية وتحركهم يميناً أو شمالاً، ويحصل ذلك على الرغم من أن خصائص هذا الرمز أوذاك المرجع لا ترتقي إلى مستوى مقبول أو مقنع من معايير القيادة القائمة على مواصفات شخصية عالية ومؤهلات مكتسبة ؟

للإجابة على هذا السؤال لا يسعنا إطلاق صفة القيادة بدلالة التأثير على نمط هذه العلاقة وإنما هي نوع من العلاقة العاطفية وأحياناً الغوغائية (Demagogue) حيث يتم تحريض الجمهور من قبل زعيم أو شخصية ديماغوجية على القيام بسلوك غير متوازن أو غير قانوني من خلال التفوه والتثقيف والوعود بأقوال غير عقلانية وخطابات تلهب مشاعر الناس وتستفزهم عاطفياً وتثير فيهم عقد وهمية، فعندها يصبح الجمهور مجرد مجموعة من الرعاع الخارجة عن القانون أو تكون أشبه بالقطعان، لا علاقة لها بمفهوم الجماهير الذي يقترن بالوعي، وتتكرر هذه الحالة في الشعوب التي تعاني من البؤس والشقاء والتخلف ونقص الوعي، ويمكن تقريب هذا النموذج في العلاقة بين طرفين غير

متكافئين في التأثير والتأثر ببيت من الشعر العربي:

الناس تسجد للأصنام تعبدها من حطة الناس لا من رفعة الصنم

تتكون القيادة من ثلاث عناصر : القائد، الإمكانات، والهدف، وهي بذلك تكون مفهوماً مقارباً ومرتبطاً بالإستراتيجية، التي تعني بدورها «فن تحقيق الأهداف السياسية»، ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الأهداف السياسية العليا للإستراتيجية لا يحددها القادة بل المفكرين والسياسيين، لذلك شهد التاريخ أفكاراً عظيمة ظلت حبيسة الورق إلى أن تسنى لها قائداً وظرفاً مناسباً فتحولت إلى واقع ملموس . وعلى ضوء تصنيف الإستراتيجية إلى إستراتيجية شاملة، تنبثق عنها إستراتيجيات فرعية متخصصة، فإن منظومة القيادة تتوزع بدورها طبقاً لهذا التصنيف، فينشأ قادة كبار على مستوى الإستراتيجية الشاملة، كما يتوزع قادة على مستوى الإستراتيجيات الفرعية، كل حسب اختصاصه، فهناك إستراتيجية عسكرية تتطلب قادة عسكريين وإستراتيجية سياسية تتطلب قادة سياسيين، وإستراتيجية إعلامية، على أن يعمل الجميع بتناغم وانسجام كل من موقعه في الإستراتيجية الشاملة .

صفات وخصائص القيادة

هناك نظريتان في صفات وخصائص القيادة، الأولى تقول إن القادة يولدون ولا يصنعون، في حين تقول الأخرى إن القادة يصنعون أكثر مما يولدون، وفي اعتقادنا إن القيادة مزيج فريد ما بين الحالتين، فهي هبة ذاتية تولد بالفطرة مع البعض، لكنها تصقل ويتم تنميتها بالممارسة والاكتساب، وهذا ما يسمى في فن القيادة بتوفر «الكاريزما» (charisma) أو الهبة الربانية في القدرة على التأثير والتي تولد مع الإنسان ولا يمكن اكتسابها فالبعض بكل بساطة ولدوا للقيام بدور القيادة[1] .

(1) ترجع أصول كلمة كاريزما (charisma) إلى اللغة اليونانية وتعني « هبة الله»، وتعني كذلك الهيبة، والتفضيل الإلهي والمؤثر، والسحر الشخصي، والشخصية التي تثير الحماسة والولاء، ويعتقد علماء النفس أن الكاريزما هي سمة فطرية تولد مع الإنسان، ويتميز الأفراد الذين يحملون هذه الصفة بدرجة عالية من الثقة بالنفس، والقدرة على التأثير والتواصل مع الآخرين فكرياً وعاطفياً .

obeikandi.com

في نفس الوقت هناك أفراداً أكفاء ولكنهم لا يصلحون للعب الدور الأول بل تجدهم فعالين وأكثر كفاءة عندما يلعبون دور الشخص الثاني أو الثالث في منظومة القيادة. وهنا تأتي الظروف والفرص لتشكل عاملاً حاسماً في بروز القيادات، فقد يمتلك شخص ما مؤهلات قيادية عالية ولكنها تضيع وسط الظروف العادية التي تتساوى فيها الفرص وتضيع الفروقات، في حين تشكل الظروف والمواقف الاستثنائية والطارئة والتحديات وأحياناً الصدف مناخاً خصباً لتجلي صفات القيادة وتألقها ما بين الأقران، ويشكل الإطار و طبيعة الهيكل الذي يتم فيه التفاعل بين القيادة والأطراف أمراً لابد منه لضمان كفاءة عمل منظومة القيادة.

كما أن هناك خصائص قيادية كلما تكاملت وتجسدت في شخصية القائد كلما أصبح أكثر تأهيلاً و استعداداً وقدرة على تحمل المهام الإستراتيجية الكبيرة في ظل الانعطافات المهمة والحاسمة في تاريخ شعوبهم:

أولاً : معايير عالية من جودة المواصفات الشخصية المتميزة، كالتمتع بمستوى من الذكاء لا يقل عن مستوى ذكاء الجماعة التي يقودها، إضافة إلى حزمة من مكارم الأخلاق كالاستقامة والعفة والكرم والتسامح والتواضع، وفي نفس الوقت الشجاعة وعلو الهمة وشدة المطاولة والإرادة الصلبة والحزم والصدق، كذلك التمتع بالاتزان العاطفي والنضج العقلي، إضافة إلى قوة المنطق وطلاقة اللسان وحسن التعبير والمظهر .

ثانياً: الإيمان بمبدأ الشورى من خلال آليات مؤسساتية تعمل بنظام وليست تلقائية وعفوية لضمان تبادل الآراء صعوداً ونزولاً، وذلك من خلال تحديد وتوضيح وتوزيع الصلاحيات والواجبات لضمان عدم تداخلها ولتفادي حصر دائرة صنع القرار بالحاشية المقربة التي غالباً ما تتحول بعد حين نتيجة تراكم المنافع والمصالح الذاتية إلى فاصلاً وحاجزاً سميكاً، فينظر القائد بعيونهم ويسمع بآذانهم، وعلى القائد أن يتحلى بالصبر في تحمل الانتقادات برحابة صدر والإجابة على أية أسئلة أو علامات استفهام قد تنشأ لدى الآخرين بين الحين والآخر. في تجربة المقاومة الفييتنامية ضد الاحتلال الأمريكي كانت القرارات تنفذ حسب السياقات الديمقراطية ويشترك فيها المقاتلين

فـإذا كانت القرارات خاطئـة فالمسؤولية تكون جماعية، أما إذا أخطأ القائد في التطبيق فإنه يستبدل بغيره .

ثالثـاً : امتـلاك القابلية والقدرة من خـلال الإيمان الصادق بعدالـة القضية التي يقاتـل مـن أجلهـا وبحتمية النصـر، على تحويـل الهزيمـة واليأس والإحبـاط في نفوس الآخرين نتيجة الفشل، إلى حافز للعمل وإصرار على استعادة الثقة بالنفس تمهيداً لإنجاز وتحقيـق النصر، وهنا يبرز نموذج من تاريخنا الإسلامي يتمثل في معركة أحد التي هزم فيهـا المسلمون، وكان مـن أسباب الهزيمة عدم طاعتهم لأوامـر الرسول ﷺ ومخالفتهم لتعليماتـه فـي أشد مراحل المعركة، ورغم أن الخطـأ كان فادحاً وآثاره كانت كبيرة، فقد نزلـت آيـة قرآنية تعد فصل رائـع في علم النفس والقيـادة ودرس بليـغ وإستراتيجي في كيفيـة استعادة القادة للمعنويات، ففي هذه الآية طلب من الرسول ﷺ أن يعفو وأن يسامح المسلميـن الذين أخطأوا، بـل ويطلب منه رغم كل العصيان الذي جرى أن يشفع لهم من خلال الاستغفار لهم، والغريب بالأمر يطلب منه أن يعود ليشاورهم في الأمر:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩) .

رابعـاً: القائـد الجيد هو الذي يكون بعيداً جداً عـن التهور، ويمتلك مستوى عالٍ من ضبط النفس، ولا يبدأ الحرب ولا يتخذ قراراته فيها بناء على العاطفة والمزاج الشخصي وآليـة الفعـل ورد الفعـل أو نتيجـة استشـارة بطانة فاسـدة ومتخلفة، ويتوجـب عليه أن يتعامـل مع شأن الحرب بحذر كبير، لأن المعارك لا تخاض ببساطة، فالقائد الغاضب قد يستعيـد هدوءه ومزاجه، أمـا البلدان التي تفنى وتموت وتدمـر نتيجة الحروب فلا يمكن استرجاعها[1].

خامسـاً : القائـد الإستراتيجي ينظر إلى ما هو أبعد مـن تحقيق النصر العسكري، فيؤسـس للنصـر السياسـي ويخطط لكيفية تصفيـة الآثار الناجمة عـن الحرب، ويتميز

(1) صـن تـزو، فن الحرب، دار الأولى للنشر والتوزيع ترجمة العماد حسن توركماني ، دمشق، سوريا ، سنة 2003 ، ص:62 نفس المصدر ، ص:29 .

بنظـرة شمولية تتعدى اللحظـة والتفاصيل التي عادة ما ينشغل فيهـا التنفيذيون وتتعلق بالمشهـد الكامل الذي تترابط فيه كافة الخيوط والجهـود المادية والنفسية وتتكامل فيه الخطط والاختصاصات الفرعية .

سادساً: امتـلاك الرؤيا الثاقبـة القائمة على التقدير الجيد والتنبـؤ بما يؤهله على تقدير النتائج مسبقاً مع تمتعه بهامش من الإقدام وعدم التردد في المجازفة والمخاطرة المحسوبة التي لابد منها أحياناً لعبور المواقف الصعبة التي تستلزم اتخاذ قرارات صعبة في وقت قياسي، عندما يستكمل القائد جميع مقومات ومستلزمات وعناصر اتخاذ القرار الصائـب والصحيح، عليه أن يندفع «كالسهم المتحرر من القوس» منطلقاً باستقامة إلى الأمـام وعندما يريد القيام بخطوة حاسمة ونهائية يتوقف عليها مصير المعركة يجب أن يحرق جميع قواربه.

سابعاً: يذكر «صن تزو» وهو مفكر إستراتيجي صيني، مواصفات القائد الإستراتيجي مـن خلال المعادلـة والقاعدة الذهبية التاليـة التي لم تسقط رغم مـرور أكثر من 2500 سنة:

(اعـرف عدوك واعـرف نفسـك تستطيع أن تخوض مائة معركـة دون أن تتعرض للخطـر، أمـا إذا كنـت تجهل عدوك وتعـرف نفسك فقـط عندها ستكـون أمامك فرص متساويـة للنصـر والهزيمـة على حد سـواء، وإذا كنـت جاهلاً بعـدوك ولا تعرف نفسك فخسارتك في كل معركة ستكون حتمية لا مفر منها).

ثامنـاً: العيش وسط الجماهيـر والالتحام بهم واكتساب ثقتهم وتنفس هوائهم، ولا يمكن إطلاق صفة قائد على شخصية يتقدم عليه أفراده في إرادة التضحية.

تاسعاً: يكتسب القائد هـذه الصفة والمنزلة جراء ثقة الآخريـن به، وينتخب فعلاً ويتقـدم الصفوف ويثبت بالتجربة كفاءته، وفي اللحظة التـي يفقد فيها ثقة رجاله يعزل من القيادة، ويجب استبدال القادة الذين تعرضوا لهزيمة، بقادة جدد وذلك حفاظاً على المعنويات.

تعـد المزايا أعلاه خصائص رئيسة للقيادة وهناك عشـرات من الحلقات الثانوية

obeikandl.com

المكملة لها لا مجال لتفصيلها والتي على أساسها تتفوق منظومة قيادة ما لإنجاز مشروع على منظومة قيادة أخرى، ومن الخصائص المكملة على سبيل المثال المساواة في المعيشة والامتيازات لأنها تعزز من مصداقية القائد، وكذلك حب القائد لمعيته ومعاملتهم كأخوة له وأبناء، وفي الحقيقة هناك إضافة لسلاحي الإرادة والمطاولة والإيمان بعدالة القضية والنصر الأكيد، معياراً إضافياً للتمييز و للمقارنة في أداء القيادات لإنجاز خططها أو إستراتيجياتها الفرعية يتمثل في معيار الإنتاجية القائم على أساس التفرد في عملية المواءمة ما بين عناصر الوقت والكلفة ونوعية الأداء.

تتفاوت العيوب الشائعة للقيادات ما بين الاستبداد في الرأي ،السعي لإرضاء الجميع، الخوف والإحجام في المواقف الصعبة، التقليل من شأن العدو، الغرور وحب المال والشهرة، الابتعاد عن روح الجماعة في العمل، التحيز وتقريب حاشية من الانتهازيين وغير الكفوئين، منح الامتيازات والمكافئات لمن لا يستحقها، القيادة الرخوة والمتقلبة والمترددة، انعدام القدرة على تقدير الموقف والنظرة المستقبلية الثاقبة.

المقاومة العراقية وأزمة القيادة

يمكن تشبيه حال أطراف الحركة الوطنية العراقية وهي تقف على أعتاب المرحلة الثالثة من الصراع - مرحلة الإنجاز النهائي - بالفرقة الموسيقية التي تمتلك كافة عناصر و مقومات النجاح لأداء سمفونية وطنية رائعة، ولكنها تفتقر فيما بينها إلى التناغم والانسجام، لذا تجد نفسها عاجزة عن إسماع هذه السمفونية للآخرين بصورة واضحة، لأن كل عضو فيها ينشد لوحده وفي التوقيت الذي يخدمه، وبطبقة الصوت التي يعتقد أنها صحيحة دون سواها.

ويكمن السبب في اعتقادنا إلى وجود عوامل قصور ذاتية على مستوى التخطيط الإستراتيجي، سواء أكان هيكليًّا كمؤسسات لم تكتمل بعد، أو فكرياً على مستوى القناعة أصلاً بجدوى مثل هذا التخطيط، كما أن هناك خللاً وفجوة كبيرة على مستوى النخب التي تتحمل مسؤولية إحداث الانتقالات الكبرى والنوعية في منحنى الصراع، ويختلط كثيراً

على البعض مفهوم النخبة فالمقصود بها هنا قطعاً ليس «أصحاب الياقات البيضاء» بل يقصد بها منظومة متكاملة ومتدرجة لإنجاز فعل التخطيط الشامل والسيطرة والتنظيم والتوجيه، وتنقسم هذه المنظومة عادة إلى ثلاث مستويات حسب التدرج والاختصاص، يمثل المستوى الأول (الرموز) والمستوى الثاني (القادة) والمستوى الثالث هو (التنفيذيين).

وفي الوقت الذي تكون فيه الرموز نتاج للحظات تاريخية تعطي هذه الشخصية أو تلك في منعطفات حساسة من تاريخ الشعوب[1] أرجحية رمزية سواء أكانت وطنية أو دينية تستقر عاطفياً في الوجدان، فإن الصنف الثاني من القادة هو الذي يعول عليه في إحداث التغييرات والانتقالات النوعية في الصراعات، فهم المستوى القادر كل حسب اختصاصه على ترجمة الأفكار والخطط إلى فعل عملياتي على الأرض، وهذا الصنف إنما يمتلك هذه القدرة بسبب النظرة الواقعية والموضوعية القائمة على أساس تكامل الاختصاصات في دراسة وتحليل متغيرات الصراع والتفاعل معها بشكل مرن ومفتوح، بما يتيح بناء الخطط الإستراتيجية وتنفيذها وفق أسس صحيحة ومدروسة، تبدأ بتحديد الهدف السياسي إلى رسم السياسات الثابتة والمتغيرة، ولديهم القدرة والمرونة دائماً على التقاط اللحظة المناسبة والفرصة السانحة وتحويلها إلى فعل وإنجاز ملموس.

يبقى الصنف الثالث وهم التنفيذيون والإداريون الملتصقون في الأرض، واختصاص هذا الصنف يتلخص في تلقي التوجيهات وتنفيذها بوعي وإدراك.

وفي تجربة المقاومة العراقية تختلط حالياً هذه المستويات الثلاثة في منظومة السيطرة والتوجيه مع بعضها بعضاً، الأمر الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى التخبط

---

(1) ينبغي التمييز في هذا السياق بين نوعين من الرموز طبقاً للموقف من الاحتلال، فهناك الكثير من الرموز الطائفية والعنصرية والعشائرية التي كانت لها مواقف تتسجم مع الاحتلال وتصب في خدمة مشروعه، وقامت بتعطيل وتخدير شرائح كبيرة من الشعب العراقي عن أداء دورها وواجبها في الدفاع عن العراق ومقاومة الاحتلال، المقصود بالرموز الوطنية هنا هي تلك الرموز التي لديها موقف ثابت وصادق وبناء باتجاه استقلال العراق وتدعم مقاومته علنياً، وهي رموز جامعة لكافة العراقيين وصمام أمان الوحدة الوطنية، وليست مختصة بطائفة أو مذهب أو قومية معينة.

obeikandl.com

والفوضى وضياع الفرصة في إمكانية تقصير عمر الاحتلال، فإطالة عمر الاحتلال أو تقصيره مناطة طبقاً لدراسة تجارب الشعوب في المقاومة بالقادة وليس مناطاً بالشعوب التي تعطي و تضحي على طول الخط، إن استقلال العراق وتحريره وإدارة صفحات صراع مرير طويل الأمد، من الأهمية والخطورة والتعقيد بحيث لا يجب أن يترك بيد السياسيين لوحدهم أو العسكريين أو ينفرد به رجال الدين بل بتكاملهم كل حسب اختصاصه واحترام واعتراف الجميع بالجميع.

ولعل غياب طبقة القادة يفسر تلك الفجوة الحاصلة بين ضخامة الإنجاز العسكري للمقاومة العراقية وضآلة توظيفه سياسياً أو ما يطلق عليه في القاموس والفقه العسكري « باستثمار الفوز» وإمكانية تقصير عمر الاحتلال، فقد أدى عدم الوعي بقيمة الفعل العسكري في حدود تأثيره السياسي في الفترة الممتدة ما بين عامي 2006 – 2007، عندما كان الفعل العسكري المقاوم في ذروته وفي أعلى مستوياته، إلى ضياع فرصة ذهبية من النوع الإستراتيجي والتاريخي، عندما كان العدو يترنح و على وشك أن يفقد صوابه وفي أسوأ حالاته مستعد للمساومة وتقديم التنازلات على الأقل جزئياً، نتيجة للضغط العسكري الهائل الذي مارسته فصائل المقاومة حينذاك.

ولعل عدم الإلمام بعناصر الصراع الإستراتيجية الأخرى والتنبؤ بمساراته كانت أحد أهم الأسباب غير المباشرة التي وقفت خلف ظاهرة الصحوات عام 2007، وهي ظاهرة اجتماعية – اقتصادية، تم توظيفها بنجاح من قبل العدو لأغراض سياسية وعسكرية، أتاحت للاحتلال بعد عجزه عسكرياً الالتفاف من خلالها لينجح في عزل هذه الفصائل عن حاضنتها الاجتماعية حيث تمكن الاحتلال بالتعاون مع بعض الانتهازيين من وجهاء العشائر وبعض قطاع الطرق من تحييد وعزل أكثر من 100 ألف مقاتل ممن كانوا سيؤلفون الاحتياط المضموم للفصائل المنظمة، ولينخرطوا مقابل مبالغ هزيلة في الصحوات وليشكلوا ساتراً بشرياً لحماية القوات الأمريكية من خلال تقليص مساحة الاحتكاك والتماس معه، بل والتجسس لصالحه وملاحقة وتصفية واعتقال عناصر وقيادات المقاومة .

لقد أدى انعدام الحد الأدنى من التنسيق في منظومات السيطرة والقيادة والتوجيه بين ركائز الحركة الوطنية العراقية بشقيها السياسي والعسكري، إلى استمرار حالة التشرذم والاكتفاء بالمشاريع المجتزأة ورواج المشاريع الوهمية ذات الحمل الكاذب من خلال مئات الدكاكين والأكشاك السياسية والعسكرية، والأهم من ذلك نجاح الاحتلال في تأخير ولادة المرحلة الثالثة المتمثلة في المشروع الشامل والمتكامل والذي تشير معظم تجارب الشعوب التحررية إلى أنه شرط لا غنى عنه للإنجاز النهائي في تطور هذه التجارب، وضرورة حتمية لتحقيق الانتصار .

ومن الواضح أن استمرار حالة التشرذم سيلقي بظلال قاتمة من الشك على حقيقة نوايا هذا الطرف أو ذاك والذرائع التي يسوقها لتبرير استمرار هذه الحالة، ومدى ارتباط هذه النوايا بالعجز أو الطمع بالسلطة أو الارتهان لمشاريع خارجية وفي أحسن الأحوال عدم القدرة على الوعي بخطورة اللحظة التاريخية وربما يقف خلف ذلك الهواجس والخوف من نوايا الآخرين .

obeikandl.com

13. المقاومة العراقية وإعادة تعريف المخاطر في العراق

لاشك أن انسحاب معظم القوات القتالية الأمريكية من العراق طبقاً لتوقيتاتها المعلنة سيترك أثراً بالغاً ليس على خارطة توازن القوى المحلية في العراق بل سيتعداها إقليمياً من لبنان إلى أفغانستان، ومن الواضح أيضاً في ظل جدية هذا الانسحاب أن الكثير من الأطراف الرئيسة والثانوية السياسية والعسكرية اللاعبة على الساحة العراقية، ستسعى إلى إعادة ترتيب أوراقها وتحالفاتها على وفق حجم الاختلال الحاصل في موازين القوى وتقييم الفراغ الذي سيتركه هذا الانسحاب، وخاصة في شقه العسكري وما سيجره من انزلاق تدريجي نحو الفوضى والاضطراب في كافة الميادين السياسية والاقتصادية والأمنية .

وفي أدبيات التخطيط الإستراتيجي لا يمكن خلط التهديدات وإنما تفكيكها وإعادة تصنيف حسابها والتعامل معها وفقاً للقدرات والإمكانيات المتاحة وكذلك ليسهل ترتيبها حسب الخطورة والأولوية، فالشعوب كثيراً ما تتعرض إلى ثلاث أنماط معروفة من المخاطر: مخاطر محلية داخلية ومخاطر خارجية ومخاطر مركبة ما بين الصنفين.

إن معظم أشكال هذه التهديدات سواء الخارجية والداخلية أو المركبة قد يمكن تصنيفها من الناحية النظرية وعزلها عن بعضها بعضاً، إلا أنها في حقيقة الأمر متداخلة مع بعضها بعضاً من حيث التأثير.

التهديدات الخارجية

تتخذ المخاطر الخارجية في العراق نمطين، أحدهما ذا مظهر دولي والآخر إقليمي، على المستوى الأول يتقدم الاحتلال الأمريكي في المرتبة الأولى كتهديد رئيس

obeikandl.com

للشعب العراقي من خلال استمرار التواجد الفعلي للقوات الأجنبية على الأرض العراقية، وبغض النظر عما يجري من انسحابات جزئية للقوات القتالية فإن بقاء قوات أمريكية من النخبة مدعومة بقوة جوية ضاربة في قواعد داخل الأراضي العراقية ومعززة بمئة ألف مرتزق حسب المصادر الأمريكية لتعويض القوات المنسحبة ، كافية لتبديد أية أوهام بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستتخلى في المدى القريب أو حتى المتوسط عن العراق وعن مصالحها الإستراتيجية فيه، خاصة إذا ما قارنا عدد هذه القوات مع القوات الأمريكية المتواجدة منذ أكثر من نصف قرن في اليابان أو في كوريا الشمالية وبموجب اتفاقيات مشابهة لتلك التي عقدتها الحكومة العراقية مع القوات الأمريكية .

ومن الواضح أن سحب هذه القوات سوف لن يمس الأهداف والمصالح الإستراتيجية الأمريكية الثابتة في العراق، وإنما يأتي فقط في سياق المناورة على مستوى الوسائل والآليات وفق معادلة تقليص الكلفة، فهذا الانسحاب إنما يأتي على خلفية جملة عوامل يأتي في مقدمتها حجم الخسائر المادية والبشرية الباهظة التي تكبدتها قوات الاحتلال في العراق وانهيار معنويات الجندي الأمريكي في العراق الذي لم تعد لديه قضية يقاتل من أجلها ففقد إرادة القتال لديه، والأمر الثاني هو الحاجة والاضطرار للمناورة بالقوة القتالية لتفادي الهزيمة الوشيكة لقوات الناتو في أفغانستان، كما يأتي الاستحقاق الانتخابي ليعزز الالتزام بتوقيتات الانسحاب التي أعلنها الرئيس أوباما واستثمارها من قبل الديمقراطيين لضمان ولاية انتخابية ثانية.

على مستوى المخاطر الإقليمية فإن النفوذ الإسرائيلي في العراق يأتي في مقدمة هذه التهديدات، فإخراج العراق من معادلة القوة في الصراع العربي الإسرائيلي يعد من أهم الأهداف التي وقفت وراء غزو الولايات المتحدة الأميركية للعراق، وعلى الرغم من تكبدها خسائر مادية وبشرية باهظة على الأقل في الشق العسكري اضطرتها في نهاية المطاف إلى جدولة انسحاب قواتها، إلا أن الولايات المتحدة لم تهزم كليًّا بعد في العراق فهي كدولة عظمى لا تزال سياسياً وإقليمياً واقتصادياً قادرة على إدارة وإدامة الصراع بوسائل أخرى، فإسرائيل المقيدة لأول مرة في تاريخها على مسارح العمليات العسكرية

في الجبهات العربية التقليدية للقتال تقف عاجزة اليوم وعليها أن تفكر أكثر من مرة قبل المغامرة في شن أي حرب على جبهة لبنان أو غزة وذلك بسبب توازن الرعب الذي حققته المقاومة الفلسطينية واللبنانية، لكن إسرائيل وانطلاقاً من مبدأ أن مسارح العمليات في الصراعات ذات الطبيعة الإستراتيجية مترابطة وغير منفصلة تمكنت في الحقيقة من فتح جبهة أشد خطورة وفتكاً خلف خطوط المواجهة تلك هي جبهة العراق، حيث تعكف منذ ثماني سنين ومن خلال التغلغل السياسي والأمني والاستخباري والعسكري والتجاري على عملية تفتيت ناعم للعراق بغرض تقسيمه انطلاقاً لتفجير المنطقة برمتها وإشغال وإنهاك الأنظمة بحماية وصيانة وحدتها الوطنية وتدعيم جبهاتها الداخلية، وفق هذا المخطط يمكن اعتبار العراق اليوم من الناحية الإستراتيجية للصراع العربي-الصهيوني خط الجبهة الأول.

لقد اتخذ الوجود الإسرائيلي منذ بداية الاحتلال في العراق عدة أنماط تفاوتت بين الوجود الاستخباري أو العسكري الفعلي ضمن غطاء القوات الأميركية، وكذلك الوجود الاستشاري حيث يخدم أكثر من مئة وثمانين خبيراً إسرائيلياً ضمن مستشاري السفارة الأميركية في العراق وأخيراً الحضور والنفوذ تجارياً واقتصادياً. على المستوى الاستخباري والعسكري تقوم إسرائيل بتدريب وتجهيز ميليشيات محلية ذات نزعة انفصالية وفي معسكرات معزولة بعيداً عن الأنظار، كما أن قطع الغيار لكثير من المطارات وتجهيزات القوات الحكومية العراقية مصنعة في إسرائيل، إضافة إلى الكثير من المنتجات الكهربائية والإلكترونية التي تغزو الأسواق العراقية المفتوحة بأسعار رخيصة جداً مقارنة بأسعارها الحقيقية، ويجري ترويجها من الشركات ذات الأصول الإسرائيلية التي تتخذ أغطية ومسميات محلية.

يشكل العراق اليوم ساحة مفتوحة للاستخبارات الأميركية والموساد وتقوم هذه الأجهزة حالياً بأخطر صفحة من صفحات استهداف العراق والأمن القومي العربي وهي صفحة تقسيم وتفتيت العراق إلى دويلات وكيانات هزيلة تقوم على أساس طائفي وعرقي ومتناحرة على السلطة والثروة.

obeikandl.com

كذلك يأتي النفوذ والمشروع الإيراني والدور التركي للهيمنة على العراق واستغلال ضعفه في ضمن التهديدات على المستوى الإقليمي، ولدى العراقيين الكثير من الأسباب الواقعية للتشكيك في النوايا الإيرانية، فمن الواضح أن موقف وسلوك إيران في فلسطين ولبنان ليس نفس الموقف والسلوك في العراق بل يتناقض معه جملة وتفصيلاً، فإيران تدعم منذ ثمان سنوات حكومات الاحتلال المتعاقبة وفق مبدأ المحاصصة، وتحاول بكافة الوسائل أن يبقى الحكم في العراق من حصة الأحزاب الموالية لها، كما أنها تدعم مباشرة الكثير من الميليشيات العسكرية في العراق، وهي أيضاً من يتحكم بالهدنة التي يتم تجديدها دورياً كل ستة أشهر بين ميلشيا جيش «المهدي» من جهة وبين القوات الأمريكية والحكومية من جهة أخرى، وإيران إذ تمسك بهذه الأوراق بقوة منذ ثمان سنوات وتناور بها داخل العملية السياسية و خارجها، إنما تعد نفسها فعلياً في ظل الغياب العربي لملئ الفراغ في حال انسحاب القوات الأمريكية وانحسار دورها تدريجياً في العراق .

كما يضع انسحاب هذه الأعداد الكبيرة من القوات الأمريكية جنوباً نحو قواعدها في الكويت بهدوء من العراق دون معوقات إيرانية، الكثير من علامات الاستفهام ودوائر الشك في احتمال حصول تفاهمات أمريكية إيرانية تحت الطاولة لغرض تأمين ظهر هذه القوات، والاتفاق على حكومة في بغداد تقبل القسمة على الطرفين من حيث الولاء المزدوج وتقاسم النفوذ وتأمين المصالح المشتركة .

تمخض عن تورط الولايات المتحدة الأمريكية في كل من العراق وأفغانستان، وفي سياق القرار الإستراتيجي لإدارتها الجديدة بضرورة تخفيض الكلف المادية والبشرية الباهظة وإيقاف الاستنزاف والتدهور الاقتصادي الكارثي الذي تتعرض له، إلى أن وجدت نفسها مضطرة في هذه المرحلة من الصراع إلى اعتماد مبدأ إدارة الأمن عن بعد أو بالنيابة وذلك لتخفيف أعبائها ومسؤولياتها الدولية، وإحالة ملفات المنطقة الساخنة وفي مقدمتها العراق إلى وكيل إقليمي حصري، ونقصد بذلك تركيا المؤهلة بامتياز نتيجة تضافر عوامل كثيرة للعب دور محوري وفعال في المرحلة القادمة سواء على صعيد

obeikandl.com

العـراق أو القضيـة الفلسطينية وبقية مشـاكل الشرق الأوسط، لاسيمـا أن كل من إيران وإسرائيـل وهما اللاعبيـن الإقليميين الرئيسين لا يشكلون نمـاذج مقبولة أو مغرية للعب مثـل هذا الدور في المنطقة، ويمكن وصف أهداف و ملامح الدور التركي في العراق على النحو التالي :

- تأميـن انسحـاب أمريكي هادئ ومدبر مـن العراق، من خلال استـدراج فصائل المقاومة إلى فخ العملية السياسية .

- الإشراف بتفويض أمريكي على عقد صفقة إقليمية كبرى بشأن العراق .

- احتواء وتحديد وليس مواجهة النفوذ الإيراني في المرحلة الراهنة على الأقل.

- تأميـن المصالح الإستراتيجية للأمن القومي التركي المتعلقة بتقليص طموحات الأحزاب الكردية الانفصالية وقضية كركوك والتركمان والمصالح الاقتصادية.

التهديدات الداخلية

لا تقـل العمليـة السياسية الجارية في العراق خطـورة وتهديداً عن الوجود الفعلي للاحتلال العسكري الأمريكي، فهي بمثابة الصفحة السياسية المكملة للاحتلال والهدف النهائي له، ويأتي الدستور كتهديد رئيس لوحدة البلاد من خلال ترسيخ مبدأ المحاصصة الطائفية والعرقية في كافة مفاصله ليشكل وصفة جاهزة لتقسيم وتفتيت العراق وتحويله مـع مـرور الزمن فيما لو بقـي هذا الدستور إلـى كيانات هزيلة متناحـرة فيما بينها على السلطـة والثـروة، فالفيدرالية والطائفية والعنصرية وهي مقومـات الدستور الحالي تعد اليوم أشد مخلفات الاحتلال الأمريكي خطورة وفتكاً بمستقبل العراق وأجياله القادمة .

كما تأتي طبيعة القوات الحكومية الحالية التي تشكلت بإشراف الاحتلال بعد قرار حل الجيش العراقي الوطني لتضع تهديداً إضافياً على المستوى الداخلي، فعوضاً عن أن تكون هذه القوات صماماً لأمان الوحدة الوطنية، حرص الاحتلال منذ اللحظة الأولى على أن يتم تشكيل نواة هذه القوات من ميليشيات الأحزاب التي تعاونت وتواطأت معه .

فهذه القوات التي تجاوزت المليون جندي تفتقر إلى عقيدة عسكرية وطنية جامعة

obeikandl.com

بمـا يكفي لصيانة الوحدة الوطنية ومواجهة الأطمـاع والعدوان الخارجي، وتم تصميمها أصـلاً وفق مقاسـات المحاصصة الطائفية والعرقية وتـم حرمانها على الرغم من مرور ثمـان سنـوات من أيـة فرصة للتسليـح أو التدريـب أو استكمـال بقية صنوفهـا القتالية، والغرض مـن كل ذلك إبقـاء هذه القـوات ضعيفة هزيلـة مقارنة بتسليـح الميليشيات و بحاجـة دائمة لإشراف إدارة الاحتـلال، بالنتيجة أصبحت هذه القوات أقرب في الوصف إلـى قوات مكافحة الشغب وقمع القوى الوطنية منها إلى وصف جيش وطني وفق المعايير الدولية، الأمر الذي قد يجعل منها برميل بارود وقنبلة موقوتة لتفجير البلاد بدلاً من أن تكـون ضمانة لوحدتها وخاصة في ظروف انزلاق البـلاد إلى الفوضى حيثما خفت قبضة الاحتـلال أو زالـت، لاسيما أن معظم قيادات هذه القوات تديـن بولائها لأحزاب السلطة الطائفية والعنصرية ذات النزعة الانفصالية.

وقد تبدو الميلشيات والتنظيمات الإرهابية المتطرفة والمجاميع الخاصة القادمة مـن خارج الحدود غير ظاهـرة للعيان في المرحلة الراهنة، وهـي تعمل تحت الأرض إما على هيئة خلايا نائمة أو ترتبط بهدنة مع الاحتلال إلا أنها في الواقع تشكل دول وحكومات مستقلة تمويلاً وتوجيهاً وتسليحاً داخل الدولة، وفي حالة الفوضى والاضطراب الأمني وهو المنـاخ المناسب لظهورها فإنها لـن تستغرق وقتاً طويلاً لكي تطفو على السطح لاستعادة مسك الأرض وملئ الفراغ من جديد، خاصة وأن القوات الحكومية العراقية الحالية والتي لا تتجـاوز أهليتها وجاهزيتها القتالية 10 % غير قادرة على إدارة الملف الأمني في عموم العراق من جهة ومخترقة من قبل هذه الميليشيات من جهة أخرى.

كما تأتي مشاكل الوحدة الوطنية والأقليات في مقدمة المخاطر والتهديدات الداخلية التـي تواجه المقاومة و حـركات التحرر الوطني فغالباً ما يعمد الاحتـلال إلى النفاذ من خـلال ثغـرة التناقضات الداخلية والعزف المنفرد لكل طائفـة وقومية على نغمة الفوارق الإثنيـة والدينية، وفي العراق تعد المحاصصة الطائفيـة والعرقية وهي قانون استعماري قديـم (فـرق تسد) تم إعادة إنتاجه بعد الاحتلال ، مـن أخطر مخلفات الاحتلال وتكمن خطورتـه فـي تبنيه من قبل أحـزاب محلية، وكذلك من خلال تكريسـه في فلسفة الحكم

obeikandl.com

كأساس للنظام السياسي وتحديداً في الدستور العراقي النافذ بعد الاحتلال وانسحاب ذلك على كافة مفاصل الحكومة والبرلمان[1].

واليوم يعد كل من الطائفية وهي انحراف سرطاني عن فكرة الدين المحببة، والعنصرية وهي كذلك انحراف سرطاني عن فكرة القومية الإنسانية في مقدمة المخاطر المحلية التي تهدد وحدة العراق أرضاً وشعباً وتشكل تحدياً لهويته ومستقبل أجياله.

ثمة أنماط أخرى من التهديدات المحلية غير ظاهرة للعيان تأتي في مقدمتها ذلك الكم الهائل من الجواسيس الذين تم تجنيدهم لصالح قوات الاحتلال، أو من قبل أجهزة السلطة أو عشرات الأجهزة التابعة لاستخبارات دول أجنبية وفي مقدمتها الموساد الإسرائيلي، وكذلك التدمير الهائل الذي طال البنية التحتية للمجتمع العراقي والمتمثلة بتهشيم الطبقة الوسطى وانتشار منظومة جديدة من قيم الاحتلال الفاسدة وملايين المشردين والمهجرين داخل وخارج العراق، إضافة إلى ما خلفته الحروب من ملايين الأيتام والأرامل وتفشي البطالة في وسط الشباب العراقي.

التهديدات المركبة

وهي من أعقد أنواع المخاطر على الإطلاق وأشدها فتكاً حيث تتلاقى وتتلاقح مصالح جهات داخلية ومحلية مع مصالح جهات خارجية، ففي الوقت الذي قد يرحل فيه الاحتلال سواء برفض الشعب العراقي أو تحت استنزاف ضربات المقاومة المستمرة، وفي الوقت الذي قد تجد بعض أنماط التهديدات الداخلية طريقها إلى الحل من خلال المصالحة الوطنية أو الاتفاق على عقد سياسي وطني جديد يضمن إعادة الثقة

(1) سبق للاحتلال الفرنسي والأمريكي في فييتنام أن مارس لعبة (فرق تسد) فقد قام الفرنسيون بتحريض فييتناميو السهول ضد الأقليات في الهضاب العالية، وأثاروا الشقاق بين القبائل وفي داخل القبيلة نفسها. ولتعقيد الأمر قام الفرنسيون بخلق ثلاث طوائف جديدة لتناوئ الطوائف الموجودة أصلاً. بعد ذلك خططت القوات المحتلة الأمريكية في فييتنام على جعل الهضاب العالية في فييتنام القاعدة الإستراتيجية الأساسية لها في جنوب شرق آسيا حيث كانت هناك بعض الطوائف المتعاونة والذين وعدتهم بالاستقلال عن فييتنام ولكنها سرعان ما تخلت عن عملائها المحليين وتركتهم يواجهون مصيرهم لوحدهم بعد أن اكتشفوا أن مصالحهم مع حكومة مركزية قوية في فييتنام.

والاطمئنـان بين كافة الأطراف والفرقـاء، فإن بعض الأحزاب والجهـات المحلية تلتقي أصلاً في أفكارها ومصالحها وعقائدها مع مصالح دول وجهات خارجية وتتفق معها في ضرورة تفتيت العراق وإزالته كقوة وحجر زاوية سواء في معادلة توازن القوة في المنطقة أو من معادلة الصراع العربي الصهيوني.

ومثـل هـذا الخطر المركـب ينطبق اليوم فـي الساحة السياسيـة العراقية تحديداً علـى بعض الأحـزاب العنصرية ذات النزعـة الانفصالية في شمال العـراق والمتحالفة إستراتيجياً ومصيرياً مع إسرائيل ومع الاحتلال الأجنبي والتي تعتبر تقسيم العراق هدفاً إستراتيجيـاً بالنسبة لها، وكذلك الأحزاب الدينية الطائفية التي تم تصميمها وتصنيعها خـارج الحـدود وتعتبر نفسها جزءاً مـن المشروع التوسعي الإيرانـي القومي على حساب العراق .

إن مظاهر التهديد والمخاطر التي تحيق بالعراق لا تقتصر فقط في أنماطها على ضفة الاحتلال ومن يتعاون معه، بل تكمن كذلك في بعض جوانبها في ضفة القوى الوطنية العراقية المقاومة والمناهضة للاحتلال من خلال عدم تبلور قيادة موحدة لغاية الآن في إطـار جبهة عمل واحدة، الأمر الـذي عطل لغاية الآن رغم توفر الظروف الموضوعية إلى إنتـاج المكافئ السياسي الوطني والبديل الواضـح لمشروع الاحتلال وهو الطريق السليم والخيـار الإستراتيجي الوحيـد المتبقي أمام الشعب العراقي لملـئ الفراغ وتقصير عمر الاحتلال وتحقيق الاستقلال الناجز.

obeikandi.com

14 - المقاومة العراقية وإشكالية الإنجاز النهائي

لا تعدو كثير من الوقائع في مجرى الصراعات العميقة والأحداث الكبرى التي تتعرض لها الشعوب سوى إشارات ونقاط تعبر بمجموعها عن مستوى آخر أكثر عمقاً وغير ظاهر للعيان ويمثل جوهر الصراع وحقيقة مساراته، وعلى الرغم من تكرار النماذج والمشاهد عبر المنهج التاريخي في تشابه طبيعة ظاهرة الاحتلال والعدوان، إلا أن الفارق بين هذه التجارب يبقى في قدرة هذا الشعب أو ذاك وقواه الحية على تقليص واختزال حقبة الاحتلال أو إطالة أمده، وهذا أمر كثير ما تتحمل مسؤوليته النخب والقيادات وليست الشعوب المقهورة التي تنشد التغيير وتتعرض يومياً للاضطهاد وتتحمل جراء ذلك التضحيات الجسام[1].

وفي هذا السياق فإن المقاومة العراقية ليست بمنأى عن قانون المراحل الذي خضعت له كافة تجارب الشعوب في سعيها لانتزاع حريتها واستقلالها، من حيث التدرج من مرحلة رد الفعل والعفوية إلى اجتماعية واقتصادية ونفسية يمكن أن نطلق عليها بالمرحلة الانتقالية والتي شابها الكثير من الفوضى و العنف الطائفي واختلطت فيها الأوراق، وعادة ما تتسم المراحل الانتقالية بالغموض وحالة اللا يقين وتداخل الخنادق. يمكن بوضوح تأشير مرحلة جديدة من الصراع في العراق بفوز مرشح الديمقراطيين أوباما الذي مثل رغبة الشعب الأمريكي في إنهاء ملف الحرب في العراق وهزيمة نهج الجمهوريين . وهذه المرحلة دشنها أوباما في شباط 2009 في إعلانه الرسمي لإستراتيجية الانسحاب من العراق وأهم ملامحها أن العراق لم يعد أولوية أولى في

(1) إذا جاز لنا من الناحية النظرية تصنيف الصراع الدائر في العراق إلى ثلاث مراحل زمنية تبدو وكأنها منفصلة، فإن ذلك سيعتمد بصورة أساسية على محصلة الخصائص المشتركة التي تطبع فترة زمنية مهما طالت أو قصرت مما يعطيها وصف المرحلة، وإن تداخلت هذه المراحل قد تبدو وكأنها منفصلة إلا أنها من الناحية الواقعية والفعلية متداخلة فيما بينها.

obeikandl.com

السياسة الخارجية الأمريكية هذا الإعلان الذي يمكن وصفه من زاوية نظر المقاومة العراقية إقراراً بالهزيمة والانسحاب ونصراً لها.

المرحلة الثالثة في عمر المقاومة العراقية هي مرحلة النضج والتنظيم وصولاً إلى تتويج نضالها بمرحلة الإنجاز النهائي، وهي إذ تدشن المرحلة الثالثة من الصراع الذي بات يتخذ أشكالاً أخرى ليست فقط عسكرية كما حكمت المراحل السابقة، بل اختلطت فيها العناصر السياسية بشدة بالعناصر النفسية، فإن هذه المقاومة وخاصة في شقها العسكري ورغم الإنجاز الحقيقي على الأرض، تجد نفسها اليوم على أعتاب مرحلة شديدة الغموض يشوبها الشك والحيرة في ما أنجز وفيما هي مقبلة عليه وما هي وظيفتها المستقبلية.

إن الحاجة إلى رصد وتحليل الحجم الهائل من المتغيرات والمستجدات الحاصلة على المستوى المحلي والإقليمي للصراع الدائر في العراق، ثم إعادة تصنيفها لبناء رؤية واضحة في عبور عنق الزجاجة وولوج المرحلة القادمة أصبحت ماسة وتتطلب جهداً فكرياً ونظرياً استثنائياً للإجابة على عشرات الأسئلة بقصد المساعدة على امتلاك قضية عادلة واضحة المعالم، وتستجيب للمتغيرات بحيث يمكن من خلالها إقناع أجيال جديدة بحمل مهامها داخلياً وإمكانية تسويقها دولياً، وبدون امتلاك هذه الرؤيا الواضحة لا يمكن ضمان استمرارية الإيمان بقضية، الذي يشكل الأساس في توفر الإرادة القوية واستمرارية المطاولة في الصراعات الكبرى وهي مفاتيح لابد منها لتحقيق أي انتصار.

الوضع الراهن للمقاومة العراقية

جاء تطور الفعل المقاوم للاحتلال على عدة مناحٍ لعل أهمها استقرار مسميات جبهات فصائل المقاومة المسلحة والسياسية بعد مرحلة من النضج والتنظيم وتجمعها على شكل جبهات، لكنها اليوم تجد نفسها في عنق الزجاجة في كيفية التعاطي سياسياً مع مرحلة الإنجاز النهائي وخطط ما بعد الانسحاب الأمريكي وتصفية آثار الاحتلال، وعلى الرغم من أن هذا التطور لم يرقَ بعد إلى ما يمكن أن نطلق عليه بحركة وطنية عراقية

موحـدة، تشكل بمجموع ركائزها بديلاً ومكافئاً سياسيـاً واضحاً للاحتلال ومشروعه في العـراق، إلا أنـه في نفس الوقـت فإن هذا التطور يمتلـك مقومات ومفاعيل وشروط هذه الحركة وركائزها وهي متوفرة وحقيقية، وجاءت كنتيجة طبيـعية لتطـور وتراكم المواقف والسلوك طيلة حقبة الاحتلال [1].

في المراحل المبكرة من الاحتلال كان من الصعب الإلمام بعدد وتوجهات الفصائل المسلحة والتي تجاوزت أعدادها آنذاك المئات من الأسماء والرايات، في حين نجد اليوم هـذه الفصائل وقد انتظمت في جبهات معروفة واضحة المعالم والقيادات لا تتجاوز عدد أصابع الكف، ولديها برامج سياسية معلنة وخاصة بها .

ومـن ملامـح المرحلـة الحالية أن الجميع يـكاد يتفق بما فيهـم أقطاب الصراع فـي العـراق بأن تغييراً قد طـرأ على طبيعة هذا الصـراع، فبعد أن كانـت اللعبة صفرية (Zero-game) وتـم اعتمـاد الإستراتيجيـة المباشرة التي كان فيها البعـد العسكري هو الطاغي ويحظى بالأولوية وتسانده كافة العناصر الأخرى السياسية والإعلامية والنفسية، فـإن المرحلـة الأخيرة قد شهدت تغييـراً في إعادة ترتيب أولويات هـذه العناصر، نتيجة لإخفاق أقطاب الصراع في حسم نتائجه عسكرياً لصالحها فاستقرت معادلة الصراع حالياً على قانـون اللعبة غير الصفرية (Non-zero game) وأصبحت الإستراتيجية تميل إلى إستراتيجية غير مباشرة، فالولايات المتحدة الأمريكية ورغم الثقل العسكري الهائل والمتطور الذي زجته في الميدان لم تتمكن من تحقيق الانتصار بل إنها كدولة عظمى قد منيـت على المستـوى العسكري بهزيمة قاسية على يد الفصائـل المسلحة العراقية التي

(1) المقصـود بالحركـة الوطنيـة العراقية كافـة الفصائل والأحـزاب والقوى والهيئـات والشخصيات العراقيـة المقاومة والمناهضـة لمشـروع الاحتلال وتعمل عبـر برامجها على تحريـر العراق وانتـزاع سيادته واستقلاله من الاحتـلال الأجنبي، ولتوصيـف ركائـز هذه الحركة يمكن اعتماد بعض المعايير منها على سبيل المثـال : -1 الوجود المادي والفعلي على الأرض . 2 – امتلاك مقومات القوة بدلالة التأثير سياسياً أو إعلامياً أو عسكرياً داخل العراق وخارجه . 3 – لا يمكن الاستغناء عنها فـي أيـة ترتيبات سياسية مستقبليـة ولا يمكن تجاوز دورها . 4 – امتلاكها موقف وسلـوك سياسي ثابت منذ بداية الاحتلال . وهناك قوى ثانوية أخرى لكنها لا ترقى إلى وصف ركيزة رئيسة في العمل الوطني لامتلاكها جزءًا من هذه المعايير.

obeikandl.com

كبدتها خسائر مادية وبشرية هائلة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر[1].

من جانبها لم تتمكن المقاومة العراقية من إنجاز أهدافها السياسية و حسم الصراع عسكرياً لصالحها، وفي الوقت الذي تحاول فيه الولايات المتحدة جاهدة الالتفاف على هزيمتها العسكرية في العراق من خلال تسخير قدراتها كدولة عظمى لديها مؤسسات على المناورة سياسياً و اجتماعياً وإقليمياً للحصول على نتائج لم تكن لتحلم بها عبر العامل العسكري، فإن المقاومة العراقية لم تتمكن نتيجة انحسار مساحة الاحتكاك والتماس الميداني مع العدو[2] من تعويض الفراغ الإستراتيجي الذي أصابها جراء انخفاض عدد عملياتها العسكرية و تحقيق انتقالات نوعية في ميادين أخرى للصراع، واكتفى كثير من أطرافها بوضعية «المراوحة» التي أفقدتها روح المبادرة والإمساك بالمبادءة والقدرة على الاستجابة لتحديات واستحقاقات ولوج مرحلة الإنجاز النهائي على ضوء المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية .

تبدل طبيعة الصراع والتهديدات

على مستوى التهديدات والمخاطر الخارجية، فالحقيقة أن تغييراً قد طرأ على

(1) تنقسم نظرية المباراة أو اللعبة (game theory) في الصراع الدولي إلى عدة احتمالات أهمها اللعبة بين طرفين وتتضمن أسلوبين في الصراع، لعبة صفرية (zero game) وفيها يربح أحد اللاعبين 100% ويخسر اللاعب الثاني كل شيء، والأسلوب الثاني، اللعبة غير الصفرية (non – zero game) وفيها يحاول كل طرف تحقيق أكبر قدر من المكاسب على حساب الطرف الثاني وذلك من خلال تحسين شروط منافسته وانتقاء أفضل الخيارات الإستراتيجية لجعل الطرف الثاني يخسر أقصى ما يمكن أن يخسره . انظر : د . كاظم هاشم نعمة، كتاب العلاقات الدولية، جامعة بغداد ،كلية العلوم السياسية، سنة ، 1987، ص:84 .

(2) مرت تجربة المقاومة الجزائرية بمرحلة مشابهة تجاوزت السنتين من انحسار عملياتها العسكرية، فقد عين «جي موليه» سنة 1956 رئيساً لوزراء فرنسا وقام بزيادة عدد القوات الفرنسية في الجزائر إلى 400ألف جندي، وقسم البلاد وقطعها إلى كانتونات (مربعات)، وتم تأمين الأمن في البلاد والعاصمة الجزائر بنسبة 95%. فما الذي عملته فصائل المقاومة التي أدركت الأهمية الدولية لقضيتها : أولاً توحدت في جبهة التحرير الوطني التي ضمت معظم الفصائل، ثم شنت حرباً إعلامية ودعائية حول الانتهاكات والتعذيب لتحقيق الانقسام داخل الرأي العام الفرنسي وكسب تعاطف الرأي العام العالمي، وأخيراً توجهت إلى المنظمات الإقليمية والدولية للحصول على اعتراف وانتزاع شرعيتها كحركة تحرر وطني، ولأن استمرار تواجد قوات فرنسية بهذا العدد إلى ما لانهاية أمر لا يمكن لميزانية فرنسا تحمله، طلب ديغول التفاوض عام 1958 مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية لإنهاء الاحتلال الفرنسي للجزائر التي اعتبرتها فرنسا جزءًا لا يتجزأ منها في يوم من الأيام . / انظر : أندريه بوفر، كتاب الحرب الثورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1972، ص:292 – ص: 300.

طبيعة هذه التهديدات، فعلى المستوى الدولي والإقليمي حصلت مؤخراً أحداثاً عميقة ومؤثرة تصب مباشرة في صالح قضية العراق، لعل أخطرها اعتراف صانع القرار الأمريكي بهزيمته العسكرية وإعلانه الرسمي للانسحاب من العراق، من جانب آخر جاءت الأزمة الاقتصادية العالمية لتلقي بثقلها على كاهل عصب الطاقة العسكرية، كما أن الولايات المتحدة والناتو وهم يخوضون في مغطس أفغانستان، فإن الدبابة التي تحترق في أودية أفغانستان كأنها تحرق اليوم في شوارع بغداد لأن النتائج على المستوى النهائي والإستراتيجي في صالح المقاومة العراقية ضد العدو الأول وهو الاحتلال وقوته وآلته العسكرية.

برزت على المستوى المحلي مستجدات مهمة لعل أهمها تحول المزاج والوعي الشعبي بصورة كبيرة ضد طبقة الاحتلال السياسية، التي باتت تقريباً معزولة ويجري الصراع بحدة فيما بينها على السلطة والثروة، هذا المتغير بحاجة إلى دراسة واستثمار، فالشعب العراقي الذي قال كلمته بصورة موحدة ولأول مرة منذ ثمان سنوات ضد حكومة الاحتلال وخرج بتظاهرات في ستة عشر محافظة عراقية وضحى بشهداء، ينتظر بالمقابل من قبل قيادات الحركة الوطنية العراقية على الأقل على مستوى «إعلان المكافئ السياسي وإن لم يستوف كافة الشروط»، وذلك لزيادة مساحة الأمل أمام الشعب الذي بات ينتظر التغيير بفارغ الصبر، وإعطاء رسالة لا تلبث أن تلتقط من قبل الأعداء والأصدقاء على حد سواء.

إن الحديث عن تحول في مستوى وترتيب المخاطر والتهديدات لا يعني مطلقاً عدم وجودها، فبروز طبقة جديدة من المستفيدين من ظرف الاحتلال والذين أصبحت لديهم مكاسب ومصالح ليس من المتوقع أن يتخلوا عنها بسهولة، كما إن غياب المشروع السياسي الوطني قد دفع بالكثير إلى انتهاج هذا الخط والادعاء به نتيجة الفراغ السياسي واليأس الذي قد يؤدي إلى أن يتعامل الناس في الداخل مع المناطق الرمادية الناشئة حديثاً في المعادلة السياسية، والتطبيع مع الأمر الواقع .

لا يمكن اعتبار العملية السياسية الجارية في العراق في أي حال من الأحوال سوى

obeikandl.com

امتداداً طبيعياً للاحتلال وجزءًا لا يتجزأ من مشروعه، ولكن في سياق إعادة النظر في ترتيب أولويات المخاطر والتهديدات المحلية، يمكن تصنيف الطبقة السياسية الحالية في العراق إلى ثلاثة أصناف:

أولاً – شريحة اليمين : وهي القوى التي مهدت وتعاونت وقدمت من الخارج مع الاحتلال منذ المحطات المبكرة التي سبقت الاحتلال أو أعقبته، وهذه القوى والأحزاب والشخصيات تعمل على تفتيت وتدمير العراق، تحركها دوافع الحقد والثأر والانتقام ولديها في الأساس مشكلة مع العراق كدولة وليس فقط كنظام سياسي، ويمكن اعتبار هذا الصنف جزءًا لا يتجزأ من الاحتلال ويتحمل من الناحية القانونية والأخلاقية كامل المسؤولية عما أصاب الشعب العراقي من مآسٍ وكوارث مادية واعتبارية، أسوة بالاحتلال الأجنبي.

ثانياً – شريحة الوسط : وهي القوى التي التحقت بالعملية السياسية من داخل العراق بعد الاحتلال، وتختلف عن الصنف الأول بأن لديها خلافات بعضها مشروع مع النظام السياسي الوطني السابق، إما على أسس مذهبية أو شخصية أو حتى سياسية نتيجة احتكار السلطة والإقصاء والتهميش ووجدت فرصة في ظرف الاحتلال لكي تنشط ضمن العملية السياسية الجارية ولديها قناعات نسبية رافضة للتقسيم والفيدرالية، ونشأت بعد الاحتلال ولكنها ضد مشروع التقسيم في العراق، وهذا الصنف يحتاج على الأقل في المرحلة الحالية والقادمة إلى تحييده وعدم التصادم معه.

ثالثاً – شريحة اليسار : وهي شريحة من القوى والشخصيات وشيوخ العشائر وضباط من الجيش التي بدلت مواقفها بعد الاحتلال، ويمكن وصفها بالقوى الانتهازية التي تحاول التماشي مع الوضع السائد تحت حجة التغيير من داخل العملية السياسية، وتقف وراء تبدلها دوافع الثروة والمناصب والجاه وهي تسعى دائماً لوضع قدم داخل العملية السياسية وأخرى خارجها وعملياً فإنهم يقومون بتنظيف أدران الاحتلال من داخل العملية السياسية التي لا يمكن لأطراف الحركة الوطنية التلوث بها، ولكن في نفس الوقت من المفيد تفهم أدوار بعض اللاعبين في أقصى شريحة اليسار، ممن يخوضون معارك

obeikandl.com

ذات طبيعة إيجابية واضحة قولاً وسلوكاً، كتلك التي تدور للحفاظ على عروبة الموصل أو عراقية كركوك أو الوقوف بوجه النفوذ الإيراني في جنوب العراق[1].

تبقى القضية الكردية وهي قضية شائكة، فالأحزاب الكردية المهيمنة في شمال العراق على شكل إمارتين إقطاعية، تحالفت بشكل إستراتيجي مع الاحتلال وربطت مصيرها بمصيره، ولكن من الواضح أن هذين الحزبين قد افتضحا بنفس طريقة الأحزاب الطائفية في جنوب العراق حيث سقط زيف شعار «المظلومية» لدى الشعب الكردي الذي اتخذته هذه الأحزاب ستاراً لها في العقود السابقة، وحالياً تعاني من التآكل والتدحرج لصالح قوى كردية أخرى صاعدة جديدة، من الضروري تشجيعها وفتح قنوات الحوار البناء معها لإقناعها بأن الضمانة الوحيدة لحقوق الشعب الكردي هي الشعب العراقي نفسه بكافة شرائحه، وليس المراهنة على الاحتلال والعامل الأجنبي كما فعلت الأحزاب العنصرية ذات النزعة الانفصالية واستغلال محنة الشعب العراقي والمتاجرة بكافة هذه الحقوق، والتي أثبتت التجارب التاريخية بأن الوضع الإقليمي والمصالح الأجنبية لا يمكن ضمانها وقد تتبدل لصالح هذا الطرف أو ذاك . وإن الحكم الذاتي الذي سبق للأكراد الاعتراف به في وقت مبكر هو الأساس الذي يمكن الانطلاق منه كخط شروع مقبول من كافة الأطراف قانونياً وتاريخياً ونفسياً.

مخارج الأزمة وإمكانية الحل

لن تحظى أية حلول نظرية بفرصة التنفيذ أو تفي بالغرض ما لم تستند إلى ثلاث حقائق :

أولاً : اعتمادها على أسس التخطيط الإستراتيجي السليم الذي ينسجم ومستوى وحجم الصراع الدائر في العراق .

(1) حيثما وردت التصنيفات والمعايير في هذه الدراسة فإنها في الواقع غير منفصلة ومتداخلة على المستوى الفعلي والواقعي، وإنما يتم تصنيفها لأغراض منهجية ونظرية ، كما أن المقصود بتصنيفات اليمين واليسار ليس بالمعنى الفكري التقليدي الدارج لهذين المصطلحين في الأدبيات السياسية وإنما اعتمدت هذه التصنيفات لأغراض فرز المنخرطين في داخل العملية السياسية ومدى قربهم وبعدهم من ضفة الحركة الوطنية العراقية.

obeikandl.com

ثانياً: التحديث والاستيعاب والتفاعل المستمر مع المتغيرات على الأرض.

ثالثاً: الإرادة السياسية الحقيقية التي يجب أن تؤمن بمنهج العمل الجمعي والتنسيقي.

يحتاج البناء الإستراتيجي ابتداءً وعلى مستوى التخطيط إلى هدف سياسي (امتلاك قضية واضحة المعالم) ثم بعد ذلك ترتيب التهديدات والمخاطر حسب الأولويات محلياً وإقليمياً ودولياً، ومقارنة هذه المخاطر بالإمكانات والقدرات بغرض الخروج بإستراتيجية عقلانية وواقعية تنسجم و طبيعة المرحلة الثالثة من الصراع وتفي بمتطلباتها بما يضمن استمرار الصراع والتحكم بمساراته.

إن القدرة والقابلية على المقارنة بين طرفي المعادلة، كفة المخاطر من جهة وكفة الإمكانيات المتاحة من جهة أخرى وكيفية تعويض النقص والالتفاف على تفوق الخصم من خلال المناورة بالعناصر العسكرية والسياسية والإعلامية واستغلال المتغيرات الايجابية كفيل باستعادة المبادءة والأرجحية، خاصة وأن الجميع بات يدرك بأن أي فصيل أو حزب مهما بلغت إمكانياته غير قادر لوحده على إنجاز هدف الاستقلال الناجز، مما يؤكد وجود حاجة ماسة وملحة لمغادرة حالة التخندق والانغلاق، ويمكن لهذا الغرض ترتيب عناصر الإستراتيجية المطلوبة للمرحلة القادمة وكما يلي (انظر الشكل التوضيحي المرفق).

أولاً – وحدة الهدف والمشروع: تحظى المقاومة العراقية ومن خلفها الحركة الوطنية العراقية بقضية عادلة لا يمتلكها الخصوم، وهي استقلال العراق الناجز العسكري والسياسي والاقتصادي والحفاظ على وحدة العراق أرضاً وشعباً وصيانة هويته العربية والإسلامية، شرعية هذا الحق وعدالة القضية التي تحملها الحركة الوطنية العراقية يشكل بحد ذاته امتيازاً ودافعاً وعنصراً مضافاً من عناصر القوة المعنوية والقانونية والشرعية يجب توظيفه وتسويقه بطريقة مبتكرة وبناءة من خلال توضيح معالم هذه القضية بصياغة خطاب وبرنامج سياسي خلاق لا يتضمن الوقوف فقط عند الثوابت التي أصبحت معروفة فحسب بل يتعداها ويستجيب إلى المتغيرات وطرح مشروع

obeikandl.com

سياسي لبناء الدولة والمجتمع والنظر بقوة للمستقبل .

ثانياً – وحدة القيادة أو تنسيقها : يؤدي تأخير ولادة وحدة القيادة أو على الأقل صيغة تنسيقية (المكافئ السياسي وإن لم يستوف الشروط) في هذه المرحلة إلى ضياع فرصة حقيقية من النوع الإستراتيجي في تقصير عمر الاحتلال في ظل ظروف محلية وخارجية مواتية، فهناك ضرورة حاكمة لمثل هذه الولادة، ويمكن لتسريع مثل هذه الخطوة قيام أحد الرموز الوطنية الصادقة والثابتة، التي تمتلك تأثيراً حقيقياً في ساحة القوى المناهضة للاحتلال وتحظى باحترام فصائل المقاومة، بتبني ورعاية مثل هذه الدعوة روحياً ومعنوياً دون الانخراط فيها تفصيلياً لتحفيز وتشجيع قيادات الحركة الوطنية بكافة اختصاصاتها للتواصل والتنسيق والالتئام، إن من شأن مثل هذه الخطوة أن تحدث انتقالة نوعية لاستعادة المبادءة من يد الاحتلال وكفيلة باستعادة الحاضنة . لأنه من المتوقع التفاف الشعب العراقي بكافة شرائحه وكثير من القوى الوطنية المعروفة وغير المعروفة داخل وخارج العراق حول هذا (البديل أو المكافئ وإن لم يستوف الشروط) لأنه أصبح ضرورة تاريخية وولادة لابد منها.

ثالثاً - المقاومة المسلحة : تعتمد فصائل المقاومة العراقية المسلحة قواعد «اللعبة الصفرية» كمنهج في إدارة الصراع ضد الاحتلال الأمريكي كخيار إستراتيجي لا غنى عنه للشعب العراقي لاستعادة حريته واستقلاله، بمعنى وجوب القتال حتى جلاء آخر جندي أجنبي عن الأرض العراقية، ورغم انخفاض عدد العمليات العسكرية وهو أمر طبيعي بسبب تقلص مساحة الاحتكاك والتماس مع العدو وتبدل طبيعة الصراع، إلا أن العمليات النوعية لهذه الفصائل ستفي بجوهر عمل هذه المقاومة القائم على أساس إطالة أمد الصراع والمطاولة لتحقيق مبدأ الاستنزاف وهو أمر كفيل بإيقاع الملل والإنهاك في صفوف المحتل لاسيما مع الانغماس الشديد الذي يقترب من الهزيمة للقوات الأمريكية في أفغانستان الذي قد يعجل من انسحابات كبيرة مما سيخل بميزان القوى على الساحة العراقية .

إن المرحلة القادمة تستلزم لغرض النهوض بالفعل العسكري بعض الشروط

obeikandi.com

الحاكمة في مقدمتها أن يصمم الفعل العسكري وفق حدود تأثيره السياسي والإعلامي وضرورة أن يجري في إطار التنسيق ما بين الفصائل المتعددة لاختصار الجهد والقوى وزيادة شدة التأثير في الميدان بعيداً عن الخلافات السياسية والعقائدية لضمان المطاولة والقدرة على المناورة بالإمكانات المحدودة والمتاحة . ومن الثوابت التي ينبغي الحرص عليها وإعلانها من قبل الفصائل حرمة الدم العراقي وتفادي الاشتباك مع القوات العراقية، إلا من يضع نفسه في خدمة قوات الاحتلال الأمريكي .

رابعاً- المقاومة السياسية : تتيح طبيعة النشاط السياسي للمقاومة مرونة و حدوداً أوسع لمدى الحركة من تلك التي يتيحها العمل المسلح، مما يعطيها المساحة الكافية لاعتماد منهج «اللعبة غير الصفرية» بمعنى إمكانية المناورة بالعناصر الاجتماعية والنفسية والإعلامية والسياسية حسب تبدل طبيعة الصراع وبما لا يخل بثوابت القضية العراقية المتمثلة في الاستقلال الناجز والوحدة والهوية، وتأتي هذه الخصوصية نتيجة لطبيعة « الأهداف» التي تتصدى لها المقاومة السياسية، فتصفية آثار الاحتلال السياسية والاجتماعية تحتاج إلى طاقات وقدرات طويلة الأمد وتختلف عن طبيعة الأهداف العسكرية حيث تتوفر لها عادة بداية ونهاية واضحة للهدف وكيفية معالجته.

إن تشخيص خطورة المرحلة وتحقيق وحدة القيادة أو تنسيقها على الأقل ووحدة ووضوح الهدف والمشروع السياسي يضمن بما لا يقبل الشك استعادة المبادءة وتحديد البوصلة ويوصل ما انقطع مع الحاضنة الشعبية للمقاومة، وكفيل بتنشيط المقاومة السياسية داخل العراق وليس خارجها، لأن مسك الأرض أحد أهم مفاتيح حركات التحرر الوطني لإدامة زخم الصراع ضد الاحتلال ومشروعه .

إن الباحث لا يدعي في هذه الدراسة المتواضعة بسهولة الحلول المعروضة، ولكنه اجتهد في وضع بعض الإشارات على الطريق وهي تحتاج لكثير من الجهد والإضافة والتعديل وأكثر من ذلك إلى النوايا الصادقة، ومن شأن استمرار وضع فصائل المقاومة والقوى السياسية بوضعية المراوحة وإبقاء الوضع على ما هو عليه، تقديم خدمة مجانية للاحتلال الذي يعاني من التدهور العسكري وتفكك وانهيار في عمليته السياسية، ولكنه

obeikandl.com

يحـرص كل الحرص وبكافة السبل على حرمان وتأخير أطراف الحركة الوطنية العراقية مـن ولوج أخطر مرحلة في الصراع وهي مرحلـة الإنجاز النهائي وضمان استمرار تفكك أطراف هذه الحركة وتمرير الفرصة عليها في أشد مرحلة من مراحل الفراغ السياسي، وتشير التقارير الأمريكية على أن الاحتلال وأدواته في العراق يراهنون بشدة على عنصر الزمـن في تـآكل جرف هذه الفصائـل واضمحلالهـا تدريجياً، والحيلولـة دون إمساكها باللحظـة التاريخية وإفلاتهـا زمام المبـادرة واستمرار مشاغلتها كقـوى منفردة تكتفي بمشاريع وخنادق مجتزأة.

obeikandl.com

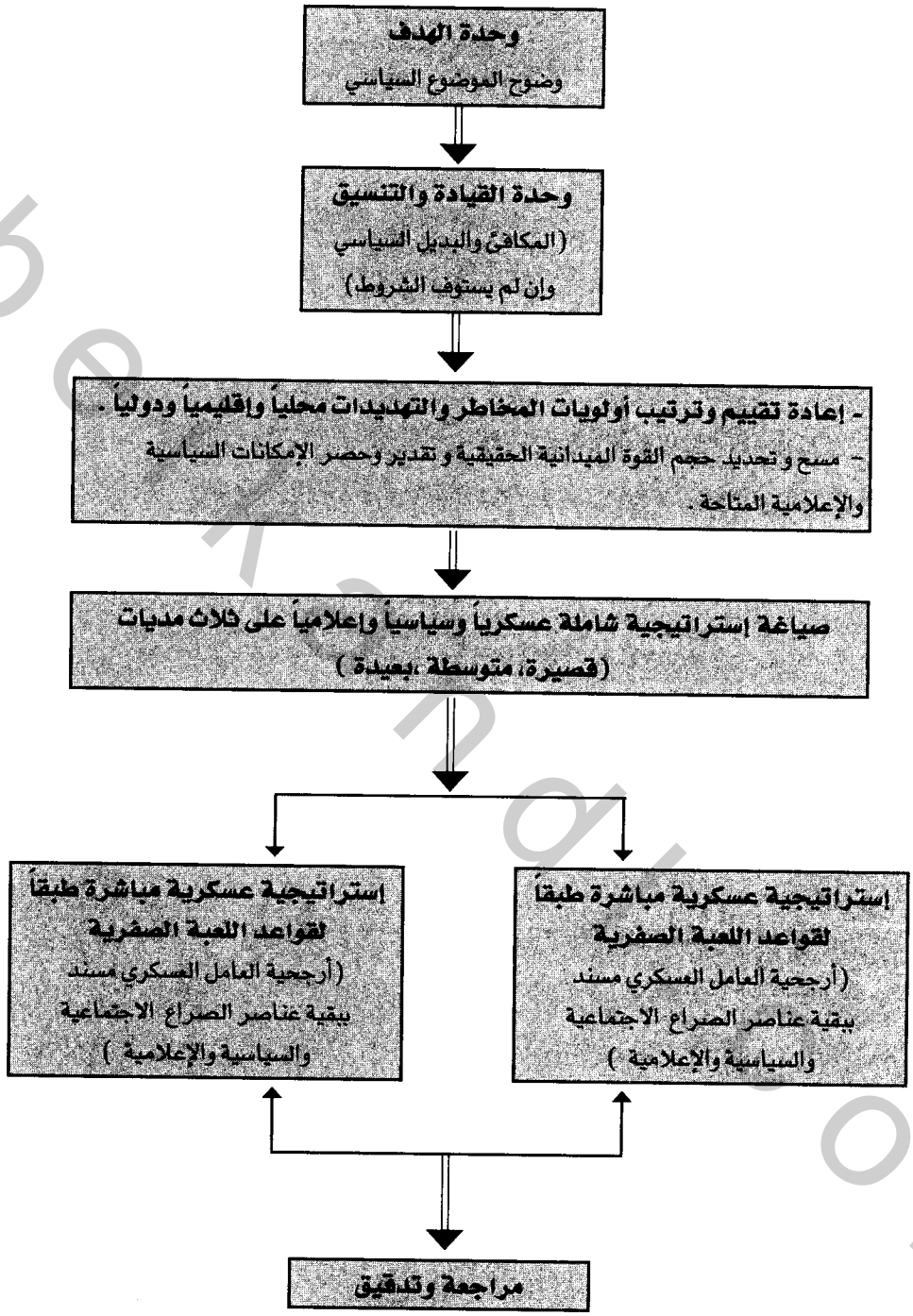

مخطط من تصميم الباحث يوضح العناصر الممكنة لبناء الإستراتيجية المناسبة في المرحلة الحالية